
مجلة البيان – العدد 66 ، صفر 1414هـ / أغسطس 1993م

كلمة صغيرة

سـلـك الأعـداء كـافـة الـسـبـل للنيل مــن شأن الإسلام والمسلمين ، و استخدموا العديد من الأقنعة لإخفاء صورهم القـبـيـحـة ، فــتـسـتروا بستائر (العلمانية) إخفاء لما في السرائر من الأحقاد والضغائن ، ورغم التمويه فــقـد انكـشـفـت الحقـائـق عن سوء الطوية ، والتخطيط لاستلاب هوية الأمة ، ووضع مقدراتها بين أيدي أعدائها ، وأصبحت (العلمانية) حديث الساعة ، فجاءت الكتابات - وبعضها لم ينشر في هذا الـعــدد - حــول هذا الموضوع دون اتفاق أو تخطيط مسبق وكأنه مطابق لما جاء في الحديث : "الأرواح جنود مجندة" .

إنه لأمر غريب جداً ومستنكر ولكن هذا هو الواقع المرّ .

المحرر

الافتتاحية

مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ

رئيس التحرير

جاء الإسلام والعـرب من أشد الأمم اسـتـعـداداً لقبوله ، وهم - في الوقت نفسه - من أشد الأمم تفرقاً ، فـجمـعهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الهدى ، وأنقذ الله بهم أمماً من الكفـر والضلال عندما حملوا الرسـالـة وتمسكوا بها ، ثم كان ما كان من التراجع عن هذا المركز الخطير، حتى صاروا من أضعف الأمم، ولكن الجذوة ما تزال باقية تحتاج من يوقدها،والراية تنتظر من يرفعها، ولا شك أن الغرب يعي ويعلم أهمية المنطقة العربية، وأنها مَهْدُ الإسلام ومادته، وهي منه بمثابة قطب الرحى، ولـذلـك كــان الـتـركيز لإبعاد الـمنطقة وأهلها عن الإسلام ، وتشجيع التيارات العلمانية والإلحادية ، والمساعــدة عـلـى الانقلابات العسكرية التي أكلت الأخضر و اليابس ، وتسخير الأقليات التي تخدم الغرب خدمة تفوق توقعاته أحياناً .

قامت الدولة الإقليمية العلمانية بالمهمة نفسها، فأبعدت الدين عن مواقع التأثير، وخرِّبت مرافق العلم والاقتصاد والبنية الاجتماعية، وتجرأت التيارات العلمانية فجهرت بأفكارها وآرائها بكل وضوح وصراحة متحدية شعور الأمة، وطاعنة بأعز ما تملك هذه الشعوب وهو الإسلام ، وظهرت على الساحة فلول العلمانيين من بقايا الشيوعيين ، أو الأحزاب الغابرة و الإلحادية الذين ارتكسوا في الضلال واستمرأوا الـتـبـعـيـة والذل لكل متسلط من الشرق أو الغرب .

وقامت بدعم هذه الفئة فئات مستهترة، تعرف وتحرف، وتعلم وتنكر ، أصحاب

أهواء وأتباع مناصب ومال، أعمتهم الشهوات، وأضلهم طول الأمل، وهم في غمرة ساهون . وهناك فريق ثالث قوامه أفراد متحيرون، متهوكون، جاهلون بأمر الله، لا يعادون الإسلام ولكنهم يظنون أنه صلاة وصيام ، وأما شؤون الحيـاة الأخرى فتنظمها القوانين الوضعية و التراتيب الإدارية، فهؤلاء يجهلون عظمة هذا الـديـن ومنهجه في إصلاح البشر ، و((مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ)) [الحج 74] إذ ظنوا أنه يخلق الخـلـق ثم يتركهم هملاً ، فلا ينزل عليهم كتاباً فيه حياتهم وسعادتهم ، وتشريعاً يجب أن يطبق في الأرض ، وإن لم يفعلوا فهو الشرك ، قال تعالى : ((ولا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وإنَّهُ لَفِسْقٌ وإنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وإنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ)) [الأنعام 121] .
تقف هذه الفئة موقفاً سلبياً تجاه الأحداث التي تعصف بـهـذا الـديـن ، وتلـحــق الضرر بالدعاة و الدعوة الإسلامية ، وتصدق هذه الفئة ما يُروج من دعايات تُصور بأن المعركة مع (الأصولية و الإرهاب) وليست مع الإسلام .
إن هذه الفئة وأمثالها بحاجة ماسة إلى من يوضح معالم الطريق الصحيح ، ويصدع بالحق دون وَجَلٍ ، حتى تكون الصورة جلية مكشوفة لا عوج فيها ولا تمويه ولا تضليل ، وحتى تكون على بينة من أمرها ، وتكون عوناً للمسلمين على أعدائهم ، وعدم الاكتفاء بالمواقف المحايدة فالله هو الخالق الآمر ((ألا لَهُ الخَلْقُ والأَمْرُ)) [الأعراف 54] ، ولا يكون الناس عبيد سوء يأكلون من رزقه ويطيعون غيره ، فالإسلام جاء لإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله .
إن الاعتراف بربوبيته سبحانه يستلزم العبودية له ، والخضوع لشرعه ((أَمَّن يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ومَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ أَإلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إن كُنتُمْ صَادِقِينَ)) [النمل 64] ، ((الله الَذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشرِكُونَ)) [الشعراء 40] .
ماذا يظن هؤلاء بآيات تحريم الربا (سورة البقرة) وآيات تشريع العلاقات الأسرية (البقرة ، النور ، الأحزاب)) وآيات الميراث (النساء) وآيات الحكم بما أنزل الله (المائدة ، الأنعام ، النساء) وآيات الشورى (الشورى ، آل عمران) وغير ذلك من الآيات الكثيرة الموجودة في القرآن العظيم ، مما يتعلق بشؤون الناس في الدنيا ؟ هل يظنون أنها للتلاوة والتبرك بها فـقـط ؟ وكذلك أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - الكثيرة التي تفصل أحـكــام معاملات المسلم في شؤونه اليومية ، وما قيده علماء المسلمين في الموسوعات الفقهية التي تضم أدق التفاصيل في المعاملات والحكم . كل هذا جاء ليطبق في الأرض ، ولا يطبق إلا بحاكم ودولة ، وإلا فمن الذي يطبق قوله تعالى : (والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَ..)) [الـمـائدة 38] ،

((ولَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)) [البقرة 171] ، ((فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ..)) [المائدة 48] .
إن الذين يقولون: إن هذه الآيات لا تصلح لهذا العصر - مع أن البشر هم البشر، و الأرض هي الأرض - فإن طرحهم هذا هو الخروج من ربقة الإسلام والتفصي عن منهجه ، وهذا الذي جعل المنطقة العربية والإسلامية تعيش النكد والغصص في العيش ، والذل والهوان أمام الغرب والشرق . ففي ظل الدولة العلمانية الإقليمية ، هاجرت أكثر العقول العربية المسلمة المتعلمة تعليماً عالياً إلى أوربا وأميركا وعملت هناك ، واستفاد منهم الغرب علمياً وتقنياً ثم عاد يضرب المسلمين بعلمه وصناعته المتفوقة فكنا كمن يخربون بيوتهم بأيديهم ، وفي ظل الدولة الإقليمية قضي على العلم والجامعات ، وأممت المساجد فأصبح الإمام كما قال أحد المفكرين (شاويش صلاة) ، وفقدت الأمة روح المقاومة والاستقلالية ، وتم استيراد كل شيء من الغرب والشرق، وعندما نتأمل ما نأكله ونلبسه ونستعمله في الإدارة،والتجارة والزراعة نجد أكثره ليس من صنعنا .
لقد طالت آثار هذا الضعف والهوان كل شيء بدءاً من فلسطين حيث يضرب الأب في غزة أمام أولاده لتحطيم الأسرة في عزتها وكـرامـتـها ، مروراً بالبوسنة و الهرسك حيث كارثة قتل واقتلاع شعب بكامله من أراضيه، ومرت هذه الكارثة ولم تستطع دول العالم الإسلامي إيقافها ، وبتنا نراقب المؤامرة الغربية الدنيئة دون أن نستطيع الحراك ، وما أظن أحداً يتجرأ على دولة في أميركا اللاتينية ، أو شــرق آسـيـا كـمــا يتجـرأ الأعداء على العرب والمسلمين في هذه الأيام .
وصلت آثـار هـــذا الذل إلى العرب والمسلمين المقيمين في الغرب فارين بدينهم ، أو يعملون لكسب قُوتهم . فـعـندها تأججت نار العنصرية الأوربية وجد المسلمون أنفسهم بين المطرقة والسندان ، فلا دولهـم تـدافـع عنهم ، ولا الدول الغربية قلمت أظفار الأحزاب العنصرية عندها ، فأحرقت أسر بكاملـهـا، ودمــــرت بيوت وبدأ التحرش بالمسلمين وإهانتهم بشكل سافر في فرنسا وألمانيا ، وبشكل مستور في بقية أنحاء العالم الجديد !!
ترى هل يتنبه الذين يقفون موقفاً سلبياً من الأحداث الجسيمة التي تلف العالم الإسلامي، فيدركون خطورة مواقفهم؟ هل يفهمون أن حمـايـة الإسلام ونصرته ليست موقوفة على فئة معينة دون فئات كثيرة، ولا على قلة من الدعاة والعـلـمـاء، بل هو واجـب مشـتـرك لكافة المسلمين؟
إن مـــا يفعله العلمانيون أو يريدون فعله ، إن هو إلا تجريد للأمة من هويتها وسلخها عن حضارتها، بل عن روحها وحياتها.
ماذا نسمي هذا الفعل، ألا يعـني ذلك تسليم القلعة وما فيها إلى الأعداء البغضاء؟

دعوة

حتى نستفيد من خطبة الجمعة (2)

محمد بن عبد الله الدويش

تحدث الكاتب في العدد الماضي عن أهمية خطبة الجمعة واختيار الموضع المناسب وفي هذا العدد يُكمل الحديث عن هذا الموضوع المهم.

ثالثاً: الأسلوب:

1- حسن الأسلوب وجودته فالألفاظ قوالب المعاني.

2- وحسن الأسلوب وجودته لا يعني أن يـتـكـلـف الخطيب فيقع فيما نُهي عنه ((قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ومَا أَنَا مِنَ المُتَكَلِّفِينَ)) [ص 86]. وأخبر - صلى الله عليه وسلم - أن التكلف، والتفاصح صفة مذمومة يبغضها الله -عز وجل- فقال: "إن الله يبـغـض البيلغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة بلـسـانـهــا"(1). وقــال أيضاً: "هلك المتنطعون"(2) قال ابن الأثير: التنطع في الكلام: التعمق فيه والتفاصح(3). ومن ذلك قول أحدهم: "لقد فاحت رائحة الشمس، فعطرت وجنات القلوب، وتركت قـطـرات الندى الإيماني الأبيض على شفاه الخفقات الدافئة في الصدور".

3- الاعتماد على الحجج العلمية المنطقية، وعــدم إلقاء النتائج مباشرة. فإن الخطيب لم يعد المتعلم الوحيد ولا فريد عصره، أو نسيج دهره.

4- تجنب النقد اللاذع والعبارات الجارحة، والتركيز على الأخطاء، والحكمة في معالجة الخطأ.

5- الاعتدال وعدم المبالغة. خَطَبَ أحد الخطـبــاء عن الفتيات وخروجهن ليلاً، وطالب الآباء أن يقوم أحدهم منتصف الليل ليتأكد من وجـود ابنته عـلـى سريرها ؛ فخرج المصلون وهم يمقتون مثل هذه المبالغة. ونموذج آخر ذكره الـشــيــخ عـبد اللطيف السبكي في مجلة الأزهر(4) وذلك أن خطيباً خطب في جامع الأزهــــر عن حديـث "واتـبــع السيئة الحسنة تمحها" فهَوَّن أمر المعصية، وأن الله فطر الناس عليها وقال بالحرف الواحد: "إن الله لم يقل للناس لا تسيئوا، ولكن قال إذا أسأتم فاستغفروا". إنه لا يسوغ أن تمتلـك الخـطـيب عاطفته الجياشة فيتحدث بمبالغة دون اعتدال أو إنصاف ؛ بل إن المبالغة تؤدي إلى نتائج معاكسة.

رابعاً: الأداء:

1- الـصــوت: فـيـنبغي العناية بوضوح الصوت والتأكد من الأجهزة التي تنقل الصوت، إضافة إلى التحكم في صوته هو، ورفعه وخفضه في المكان المناسـب، وأن يعـتـنـي بـسـلامـة إخراج الحروف.
2- تصوير المعاني بالنطق، ففي حالة الاستفهام ينتظر الجواب، وهكذا في حالة التعجب.
3- حسن الوقوف، فيراعي المعاني وتمامها عند وقوفه.
4- الحماسة، والعاطفة الحية التي يشعر المصلي من خلالها أن الخطيب يحمل الفكرة في عروقه ودمائه، ولـيـسـت مـجـــرد كلمات هامدة، وقد كان - صلى الله عليه وسلم - إذا خطب علا صوته، واحمر وجهه كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم.
5- رباطة الجأش، والتعود على ذلك.
6- سلامة اللغة وعدم اللحن، وقد كان السلف يعتنون باللغة وسلامتها، وكان اللحن مما يعاب به على المـــرء فضلاً عن طالب العلم، وليس ثمة ما يعيب الخطيب، أو ينقص من قدره، أن يدرس مبـادئ الـنـحو، أو يبحث عمن يقرأ عليه فيصحح قراءته. قـال عـمـر بن الـخـطــاب - رضي الله عنه-: "تعلموا الفرائض واللحن اللغة والنحو فإنه من دينكم". ويمكن أن يلجأ إلى حل مرحلي بـأن يـشـكــل الكلمات التي يرى أنه عـرضـــة لأن يخطئ بها.

خامساً: بين الارتجال والخطبة من ورقة:

أولاً: نود الإشارة إلى أن هنالك فرقاً بين الارتجال في المصطلح المعاصر، وعند العرب، فهو لدى العرب الخطبة من غير إعداد واستعداد، ولم يكونوا يعرفون الـخـطـبـة مـــن الـورقة أصــلاً؟ أما في المصطلح المعاصر فيقصد به الخطبة دون ورقة، ولــو أعـد الـخـطـيـب لـتلـك الخطبة.
فالارتجال بمعناه عند العرب لا ينبغي أن يسلكه الخطيب فيصعد المنبر، ويفكر في موضوع الخطـبـة أثناء الآذان، أو يفكر وهو في الطريق إلى المسجد، ومهما علت مكانة الخطيب، واتسع علمه، فلا يستغني عن الإعداد والتحضير المسبق، لكن ما يكثر عنه السؤال، ويدور حوله النقاش، أيهما أولى: أن يخطب الخطيب من ورقة، أو من دون ورقة مع التحضير والإعـــداد المسبق.
والموضوع يحتاج لتفصيل تضيق عنه هذه الـمـقـالــة لكننا نسجل بعض الملحوظات:
1- الناس يختلفون ويتفاوتون في ذلك.
أ- فبعضهم يحتاج للورقة لتضبط ألفاظه، فلا يشطح، ويقول ما يُحسب عليه، أو تضبط لـــه موضوعه فلا يتشتت به الحديث يمنة ويسرى، وينسى موضوعه، أو يضبط له وقته فلا يطيل على الناس.
ب- والـبـعـض يحـتـاج لرؤوس الأقلام، والنصوص.

ج- والبعض لا يحتاج لذلك، ويستطيع أن يستوعب موضوعه، ويضبط ألفاظه، ووقته. فإذا كان كذلك فهذا أدعى للتأثير على الجمهور وجلب انتباههم.
2- من لا يجيد الارتجال يستطيع التعود، بالتدرج ؛ وأفصح الناس قد ولدته أمه وهو لا يجيد النطق بحرف واحد.
3- ليس بالضرورة أن يجعل الخطيب الخطبة دون ورقة هدفاً له،فقد يخطب من خلالها، ويفيد الناس، ويحقق المقصود.

سادساً: بين الإيجاز والتطويل:

الإيجاز هو السنة. روى مـسـلــم في صحيحه عن أبي وائل قال خطبنا عمار فأوجز وأبلغ، فلما نزل، قلنا يا أبا اليقظان لقد أبلغت وأوجزت فلو كنت تنفست، فـقــال إنـي سـمـعـت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مَئنة من فقهه، فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة وإن من البيان سحراً".
وعـن جـابــر بن سمرة - رضي الله عنه - قال: "كنت أصلي مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكانت صلاته قصداً، وخطبته قصداً".
وقال أبو بكر -رضي الله عنه- لـيزيد بن أبي سفيان - رضي الله عنهما - حين أمّره على جيش إلى الشام: "وإذا وعظتهم فأوجز فإن كثير الكلام ينسي بعضه بعضاً".
وها نحن نرى في عصرنا من يطيل الـخـطـبـــة حتى يُملَّ الناس. ذكر اللواء محمود شيت خطاب أنه صلى مع خطيب في القاهرة اسـتمــرت خطبته ساعة وعشر دقائق، مع اللحن والخطأ في الآيات، والأحاديث، والشعر(5).
الإيجاز والتطويل نسبي وقد يتطلب الموضوع أحياناً قدراً من الإطالة، أو طبيعة المستمعين. أو من الخطيب؛ كأن يفد غريب وهو ممن يحب الناس سماع كلامه؛ فمثل هذه المواقف قد تسوغ فيها الإطالة ويبقى بعد ذلك الإيجاز هو الأصل، فـالإيجاز يزيد مسؤولية الخطيب؛ إذ سـيـحـتـاج لـعـــــرض جملة من الحقائق والمعلومات في وقت يسير. وليس صحيحاً أن التحضير يتناسب طردياً مع وقت الخطبة.

سابعاً: أمور لابد من اجتنابها:

أ- التركـيـز عـلـى سـلبيات المصلين، والحديث عن أخطائهم، أو استعمال ضمير المخاطب كـثـيراً، وهذا مثل الطبيب الذي يحدث المريض عن مرضه ويبالغ في وصفه وخطورته؛ إن التركـيـز على مثل هذا الأسلوب من شأنه أن يحطِّم كل جوانب الأمل لدى المصلي، مـمـــا يجعله يشعر أنه لا يمثل إلا مجموعة من الأخطاء والعيوب،ومع كثرة النقد وبيان الأخطاء يـتـلـبــد إحساسه؛ فيشعر أن الخطأ أمر طبيعي لا يمكن أن يفارقه. أو أن يـشـعـر أن هــذا الخطيب لا ينظر إلا بعين واحدة، فينصرف عن سماع ما يقول.

إن الخطيب الناجح يستطيع أن يحقق المقصود، ويعالج الخطأ دون حاجة للانتقاد المباشر للناس، فحين يتحدث عن إهمال الناس لصلاة الجماعة مثلاً؛ بإمكانه بدلاً من النقد اللاذع أن يتحدث عن أهميتها، وفضلها، ويسوق الأدلة الشرعية على ذلك ؛ ثم يُثَنِّيْ بعناية السلف بها، ومحافظتهم عليها، وذمهم من يتخلف عنها ؛ وبعد ذلك يقف عند هذا الحد، واللبيب يفهم الإشارة، وفي التلميح ما يغني عن التصريح، وهذا لا يعني بالضرورة عدم الحديث عن الخطأ أو مجاملة الناس، لكن هذا شيء، وما نفعله أحياناً شيء آخر.

2- وصف الأخطاء والتحذير منها دون العمق في تحليل أسبابها، والتفتيش عن مكمن الضعف. فقد أصبح الشعور بالخطأ مشتركاً لدى الأغلب، لكنهم ينتظرون برنامجاً عملياً، وخطوات واقعية. ومن ذلك الحديث المجرد عن الموت والقبر دون ربط ذلك بالواقع. ويشير ابن القيم -رحمه الله- إلى شيء من ذلك، فيقول: "وكذلك كانت خطبته، إنما هي تقرير لأصول الإيمان، من الإيمان بالله، وملائكته وكتبه، ورسله ولقائه، وذكر الجنة والنار، وما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته، وما أعد لأعدائه وأهل معصيته، فيملأ القلوب من خفته إيماناً وتوحيداً، ومعرفة بالله وأيامه، لا كخطب غيره التي إنما تفيد أمراً مشتركاً بين الخلائق، وهي النوح على الحياة، والتخويف بالموت، فإن هذا أمر لا يحصل في القلب إيماناً بالله، ولا توحيداً له، ولا معرفة خاصة به، ولا تذكيراً بأيامه، ولا بعثاً للنفوس على محبته والشوق إلى لقائه، فيخرج السامعون ولم يستفيدوا فائدة ؛ غير أنهم يموتون، وتقسم أموالهم، ويبلي التراب أجسامهم، فليت شعري أي إيمان حصل بهذا ؛ وأي توحيد وعلم نافع حصل به ؟!"(6).

3- النقد الشخصي والتصريح بالأسماء، فهذا خلاف هدي النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي كان كثيراً ما كان يقول: "ما بال أقوام يفعلون كذك وكذا". أو الغلو والإيغال في التعمية، فالمنكرات الظاهرة العامة يجب أن تنكر صراحة.

4- مدح من لا يستحق المدح، والثناء عليه، كما في بعض المواقف والمشاريع التي يدرك الجميع أنها غير صادقة، وغير جادة، أو كانت جادة ؛ لكن الخطيب لا يستطع أن يقول كل شيء، فلا يستطيع الانتقاد وبيان الخطأ، فلا يسوغ له الاقتصار على الثناء ؛ لأنه يتضمن التزكية عند الناس، أما ما يقوله البعض من أن هذا شهادة للمحسن بإحسانه ؟ فهذا مطلوب لكن حين يستطيع أن يشهد بالإساءة والإحسان، أما حين تكون الشهادة بالإحسان وسيلة لطمس الحقائق ؛ والتلبيس على الناس، فهذا أمر مرفوض.

5- تأثر الخطيب بعمله الوظيفي. فحين يكون مدرساً يتحدث كثيراً عن الإجازات، والامتحان، وبدء العام، وهكذا مَنْ يعمل في ميدان الاحتساب ترى معظم خطبه تدور حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعن المنكرات

المتفشية في المجتمعات، وهذه أمور مطلوبة ؛ لكن هذا شيء وكونها سمة غالبة على الخطيب شيء آخر.

ثامناً: مقترحات للخطيب:

لعلنا نقترح هاهنا بعض المقترحات للخطيب على أمل أن تساهم في إفادته، ورفع مستوى خطبته:

1- اللقاء بالخطباء في الحي، والتنسيق معهم، والاستفادة المشتركة من الـمـعـلـومـــات، ووجهات النظر، مما يختصر عليهم كثيراً من الوقت.

2- وضع صندوق للمقترحات ؛ يشمل موضوعات للخطبة، وانتقادات، ومعلومات عن ظاهرة معينة، ليكون هذا الصندوق حلقة وصل بين الخطيب والمصلين، وقناة للتفاهم بينهم.

3- اللقاء ببعض فئات المجتمع كالمدرسين، والطلاب، والعمال، والأطباء، والقضاة، والعسكريين، فيستفيد من إطلاعهم على جوانب في المجتمع قد لا يطلع عليها، ومن التعرف على مشاكلهم، والتي تمثل عينة من مشكلات يعاني منها الكثير من زملائهم، إلى غير ذلك مما يفتح للخطيب قنوات أكثر مع المجتمع.

4- الاستفادة من بعض المصلين، فقد يصلي مع الخطيب أحد طلبة العلم، أو المثقفين، أو ممن يمكن أن يستفيد منه، انتقاداً، واقتراحاً، ومعلومات ؛ إلى غير ذلك.

5- وضع "أرشيف" شخصي، ينظم له معلوماته، ويمكن أن ينسق مع غيره من الخطباء لتبادل الخبرة، والمعلومات.

6- الخطيب هو الرجل الوحيد الذي لا يسمع خطبة الجمعة، ولعله حين يحرص على سماع الأشرطة المسجلة لمشاهير الخطباء يستفيد كثيراً.

7- القراءة في الكتب المؤلفة في الخطابة وفنها.

8- الترجمة للخطبة إذا كان في المسجد جاليات أعجمية.

تاسعاً: هل سألت نفسك هذا السؤال ؟

ماذا حققت من خلال الخطابة خلال مدة اعتلائك المنبر. هل صححت أخطاء تربوية؟ هل قمت بحل مشاكل اجتماعية؟ هلى ساهمت في تعليم الناس أصول العقيدة، والأحكام التي يحتاجونها في حياتهم؟

إن هذا السؤال لا يعني فشلك، أو اتهامك بالتقصير. لكنه سؤال يجب أن تطرحه على نفسك باستمرار مدى قيامك بهذه الأمانة، ورعايتها.

الهوامش:

1- رواه أحمد وأبو داود (5005)، والترمذي (2857).
2- رواه مسلم (2670) وأبو داود (4608).
3- جامع الأصول (11/733).
4- صفر 1377 هـ.

5- مجلة لواء الإسلام (شوال 1396هـ).
6- زاد المعاد (1/423).

دعوة إبراهيم -عليه السلام-

محمد الخضيري

إن الدعوة إلى الله تعالى طريق الأنبياء -عليهم السلام- وأتباعهم كما قال تعالى:((قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا ومَنِ اتَّبَعَنِي وسُبْحَانَ اللَّهِ ومَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ)) .

وكان مما اعتنى به الـقـرآن الكريم ذكر قصص دعوات الأنبياء ، وتصويرها بأبلغ أسلوب، وعـرضـهـا بأدق عبارة، حـتـى أصـبـحـت أخبارهم في القرآن نماذج حيّة يحتذيها الدعاة ويقتبسون مـن نـورها ، ويهتدون بهـــداها ((أُوْلَئِكَ الَذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ)) . وقد اخترنا دراسة موضـوع الدعوة إلى الله من خلال قصة إمام الحنفاء وأبي الأنبياء إبراهيم - عليه السلام - ولم يكن اختياري لهذه الدعوة جزافاً بل لأسباب أوجزها فيما يلي :

أولاً : أنها دعوة خليل الرحمن، ومؤسس الحنيفية، وأحد أولي العزم الخمسة من الرسل .

ثانياً : أن رسولنا محـمــداً - صلى الله عليه وسلم - قد أمر باتباع ملته ((ثُمَّ أَوْحَيْنَا إلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ومَا كَانَ مِنَ المُشْرِكِينَ)) .

ثالثاً : تلك الصفات العظيمة التي تحلى بها إبراهيم حتى قال الله تعالى فيه ((..وإبْرَاهِيمَ الَذِي وفَّى)) فكانت نبراساً يقتفى أثره فيها الدعاة إلى الله .

رابعاً : استغراق القرآن واستقصاؤه لأساليب إبراهيم المتنوعة في عرض دعوته على قومه ، حتى إنه ليعز على الباحث أن يجد لنبي من الأنبياء خلا نبينا - صلى الله عليه وسلم - مثلما يجد لهذه الأيام من الطرائق والسبل في إقناع المدعوين وترويضهم على قبول الدعوة . ولا غرو فقد سنَّ للناس من بعده من الدعوة أساليب لم تعهد لأحد من قبله ولم تقف عند حد الكلمة بل تخطتها إلى الحركة والفعل .

خامساً : رسمت هذه الدعـــوة للدعاة منهاجاً في الصبر يحق لهم أن يقتدوا به ، فقد صبر إبراهيم -عليه السلام- في أحـــــوال مختلفة وظروف متباينة وأعمال متنوعة كالصبر على جفاء الأبوة ، وعدوان العشيرة، وهجران الأرض، والفتنة بالنار، والأمر بذبح الولد، وغير ذلك .

وسنعرض الموضوع من خلال نماذج من صفات إبراهيم -عليه السلام- الدعوية وأساليبه في نشر دعوته .

نماذج من صفات إبراهيم الدعوية :

لن يتسع المقام لحصر تلك الصفات التي اتسم بها إبراهيم -عليه السلام- فلقد وصفه ربه بأنه وفّي جميع مقامات العبد مع ربه ولذلك سنقـتـصـر . على

جملة من الصفات ونخص بالذكر منها ما له صلة ظاهرة بدعوته ، وله أثر ظاهر في الاهتداء والاقتداء به .

1- أمة :

قال تعالى : ((إنَّ إبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً..)) وهذه الكلمة تأتي لعدة معان ، منها الجماعة ((كَانَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً)) ، ومنها الزمان والحين ((وادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ)) ومنها : الرجل الجامـــع لخـصـال الخير حتى يقوم مقام أمة من الناس ، وهذا هو المقصود في حق إبراهيم ، وهذه تدلنا عـلـى عظيم ما كان يتصف به إبراهيم من عبادة ودعوة وخلق حري بأن يحتذي به الدعاة في حـيـاتهم وتزكية أنفسهم ، واجتهاد أحدهم في تقويم أخلاقه والنشاط في دعوته ليقوم مقام أمة في ذلك . وقيل أن المقصود بالأمة هنا : أي الإمام ، أي قدوة يقتدى به في الخير ، وممن قال به ابن جرير الطبري وابن كثير .

2- قانت :

قال تعالى : ((إنَّ إبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِّلَّهِ حَنِيفاً))، والقنوت : لزوم الطاعة مع الخضوع، وكـذا يجب أن يكون الداعية ملازماً لطاعة الله على كل حال ، فلا يكون كالمنبت يجتهد حتى تكلّ راحلته ، ثم ينقطع ، بل يلازم ويستقيم .

3- حنيفاً :

والحَنَف : الميل عن الضلال إلى الاستقامة ، والحنيفُ : المائل والجنف : ضده . والأحنف : مَنْ في رجله ميل سمي بذلك تفاؤلاً ، وقيل لمجرد الميل . قال ابن كثير: الحـنـيـف : الـمنحرف قصداً عن الشرك إلى التوحيد . وقد كان ذلك من إبراهيم حتى عُدَّ إمام الحنفاء الموحدين ، قال تعالى : ((ولَمْ يَكُ مِنَ المُشْرِكِينَ)) ، وقال: ((ومَا كَانَ مِنَ المُشْرِكِينَ)) ، وهكذا فليكن أولياء الله .

4- شاكر:

قال تعالى : ((شَاكِراً لأَنْعُمِهِ)) أي قائماً بشكر نعم الله عليه (وأصل الشكر) ظهور أثر الغذاء في أبدان الحيوان ظهوراً بيناً . يقال : شكرت الدابة : أي سمنت وظهر عليها العلف ، وكذلك حقيقته في العبودية : وهذا ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده : ثناء واعترافاً ، وعلى قلبه : شهوداً ومحبة ، وعلى جوارحه : انقياداً وطاعة . والشكر مبني على خمس قواعد : خضوع الشاكر للمشكور ، وحبه له ، واعترافه بنعمته ، وثناؤه عليه ، وأن لا يستعملها فيما يكره(1) ، وقد كان ذلك من إبراهيم -عليه السلام- .

5- الحلم :

قال تعالى : ((إنَّ إبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ)) .

والحلم : ضبط النفس والطبع عـن الـهـيـجـان عـنـد الاستثارة . والحليم : الكثير الحلم وموقف إبراهيم من مقالة أبيه ((لأَرْجُمَنَّكَ)) ومن الـعـتاة قوم لوط حينما مرت به الملائكة وأخبرته بما أمرت بها قال : ((فلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وجَاءَتْهُ البُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ * إنَّ إبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ

مُّنِيبٌ)) ، ولم يكن حلم إبراهيم ذريعة يتذرع للسكوت عن المـنـكـر بـل كــان يعلن الحق وينكر الباطل ((وتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ)).

6- أوّاه:

قال الراغب الأصفهاني : "الذي يكثر التأوه وهو أن يقول : أوّه وكل كلام يدل على حزن يقال له التأوّه، ويعبر بالأوّاه ، عمن يظهر خشية الله تعالى"(*) ، والذي يتحقق من معنى الأوّاه أنه الخاشع الدعّاء المتضرع، وكثرة تأوّه إبراهيم وتضرعه بين يدي ربه قد ذكرت في آيات كثيرة تدل على تحقيق إبراهيم ((رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وإلَيْكَ أَنَبْنَا وإلَيْكَ المَصِيرُ))وجدير بمن سلك طريق الدعوة أن يجعل تعجيل الإنابة من أبرز سماته ليكسب عون ربه وتسديده ومحبته .

7- السخاء :

قال تعالى : ((هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إبْرَاهِيمَ المُكْرَمِينَ * إذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًاً قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ * فَرَاغَ إلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ * فَقَرَّبَهُ إلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ)) فذكر أن الضـيـف مكـرمـون لإكرام إبراهيم لهم ، ولم يذكر استئذانهم ليدل على أنه قد عرف بإكرام الضيفان ، مـع أنهم قـوم منكرون لا يعرفهم فقد ذبح لهم عجلاً واستسمنه ، ولم يعلمهم بذلك بل راح: أي ذهب خفية حتى لا يُشعر به، تجاوباً لضيافة ، فدل على أن ذلك كان معداً عندهم مهيئاً للضيفان، وخدمهم بنفسه، فجاء به ومرّ به إليهم ولم يقربهم إليه ، وتلطف مبالغة في الإكرام فقال: ((أَلا تَأْكُلُونَ)) . قال ابن القيم : "فقد جمعت هذه الآية آداب الضيافة التي هي أشرف الآداب ، وما عداها من التكلفات التي هي تَخَلفٍ وتكلفٍ : إنما هي من أوضاع الناس وعوائدهم ، وكفى بهذه الآداب شرفاً وفخراً فصلى الله على نبينا وعلى إبراهيم وعلى آلهما وعلى سائر النبيين"(2) .

8- الصبر :

كان إبراهيم مثلاً يحتذى في الصبر حتى استحق أن يكون من أولي العزم الذين أمر رسولنا - صلى الله عليه وسلم - أن يصبر كصبرهم ((فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ)) . وكان صبر إبراهيم شاملاً لابتلاءات كثيرة ، سيأتي بيان جملة منها بإذن الله .

9- رعايته لأهله :

لم يكن إبراهيم ممن يلتفت إلى الـنـــاس بدعوته ويترك أهله ، بل بدأ بهم وخصهم بمزيد الرعاية والعناية وقد قال الله لمحمد - صلى الله عليه وسلم - ((وأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ)) وكذلك كان إبراهيم ، فدعا أباه ((يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ ولا يُبْصِرُ)) ، ووصى أبناءه بالتمسك بالدين ((ووَصَّى بِهَا إبْرَاهِيمُ بَنِيهِ ويَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إلاَّ وأَنتُم مُّسْلِمُونَ..)) ، وكان يدعو ((واجْنُبْنِي وبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ)) ، ويتضرع بقوله : ((رَّبَّنَا إنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِــوَادٍ غَـيْــرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ المُحَرَّمِ

رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ)) .

10- شجاعته :

واجه إبراهيم قومه ولم يخش كيدهم وقال مقسماً : ((وتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ)) ، وقوله لهم : ((أُفٍّ لَّكُمْ ولِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ..)) .

وكان ذلك لعلم إبراهيم بأن معه القوة التي لا تـهــزم، وأن مــا أصابه لم يكن يخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه فرسم للدعاة منهجاً في الشجاعة المنضبطة بضوابط الشرع بلا تهور يحتذونه في مواجهة الباطل من إقرار الحق .

11- تحقيقه الكامل لعقيدة الولاء والبراء :

قال تعالى عن ((فَمَن تَبِعَنِي فَإنَّهُ مِنِّي)) ، وقال : ((وإذْ قَالَ إبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وقَوْمِهِ إنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إلاَّ الَذِي فَطَرَنِي فَإنَّهُ سَيَهْدِينِ)) فكل عدو لله وإن قربه النسب تجب البراءة منه، وكـل ولـي لله وإن باعدت به الأوطان والأزمان تجب موالاته ومحبته وقد أمرنا أن نتأسى بإبـراهـيـم فـي ذلـك : ((قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إبْرَاهِيمَ والَّذِينَ مَعَهُ إذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إنَّا بُرَآءُ مِـنـكُـمْ ومِــمَّــا تَـعْـبُـدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وبَدَا بَيْنَنَا وبَيْنَكُمُ العَدَاوَةُ والْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وحْدَهُ..)) .

12- سلامة القلب :

قال تعالى : ((وإنَّ مِن شِـيـعَـتِهِ لإبْرَاهِيمَ * إذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)) وسلامة القلب نوعان: كـلاهـما داخل في مضمون الآية، أحدهما: فـي حــقّ الله وهــو سـلامــة قلبه من الشرك، وإخلاصــه العبودية لله ، وصدق التوكل عليه . والثاني : في حق المخلوقـيـن بالنصح لهم وإيصال الخير إليهم ، وسلامة القلب من الحقد والحسد وسوء الظن والكبر وغير ذلك .

وبعد فـهــذه جملة مختصرة من الصفات الدعوية لإبراهيم عليه السلام سائلاً الله تعالى أن يوفقنا لاتباع ملته والسير على منهجه وبالله التوفيق .

-يتبع -

الهوامش :

1- انظر مدارج السالكين .

*- وقال السمين الحلبي : "الأواه : الذي يكثر قول : آه آه ، والتأوه كل كلام يظهر منه تحزن ، وقوله ((أَوَّاه)) [التوبة 114] ، قيل : هو المؤمن الداعي ، وقيل من يخشى الله تعالى حق خشيته ، والأواه : الكثير التأوه خوفاً من الله تعالى ، (عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ، ص 33/طبعة اسطنبول)

-البيان-

2- التفسير القيم 446 .

نقد

أخطار النزعة المادية في العالم الإسلامي
نقد كتابات جودت سعيد
(4)

عادل التل

مفهوم العقيدة :

لم يـتـنـاول جــودت موضوع العقيدة في بحث مستقل ولم يحدد مفهومها بناءً على المنهج الإسلامي ، وإنـمـــا كانت مباحثتها متناثرة ، وكان له فيها فهم خاص يتلاءم مع أصول المذهب المادي ، وقد أظهر في هذا المجال مصطلحات جديدة وغريبة ، ولكنها تلتقي مع آراء الفرق الـضـالـة وتبتعد عن منهج السلف الصالح . وقد أظهر هذه الآراء عندما تعرض لتعريف الإيمان وجعله مرتبطاً بالحقائق الخارجية المادية ، حيث قال : "والإيمان ليس مجرد إيمان وإنما توحيد، أي الإنـسـان مـرتـبـطـاً بالحقائق الخارجية وتحريره من عالم الأشخاص والصور الذهنية"(1) .

وينطلق جودت من مفهوم حسي للغيب حيث يقول : "وهكذا يصبح الغيب علماً ، عندما تكــون طـريقـة إيمـانـنـا بالقيم السماوية كإيماننا بأي شيء محسوس "(2) . ثم يربط بين الإيمان ونتائج الأسباب فـي عـالـم الـواقـع سلباً وإيجاباً فيقول : "إذا أدركنا معنى ربط الأسباب بالنتائج، وأنها ليست عقلية وإنما مشاهدية، نستطيع أن نربط الإيمان بالنتائج فإذا شاهدنا الإيمان ونتائجه ، جعلنا شروط العلم بكل محتوياته في موضوع الإيمان"(3).

ثم يجعل للعلم - الذي وضع له شروطاً حسية - سلطاناً على دين الله حين يقول : "كما بسط العلم سلطانه على الفلك والكيمياء والطب فسيبسط سلطانه أيضاً على الدين"(4) .

ومما لا شك فيه عـنـد الـمـسلمين جميعاً أن العقيدة لا تؤخذ إلا من مصدر واحد هو طريق الوحي ، طريق النبوة . قال تعالى: ((وكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ ولا الإيمَانُ ولَكِن جَـعَـلْـنَـــاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَـاءُ مِنْ عِبَادِنَا وإنَّكَ لَتَهْدِي إلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَذِي لَـهُ مَـــا فِي السَّمَوَاتِ ومَا فِي الأَرْضِ ألا إلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ)) [الشورى 54] .

لـقـــد قرن جودت مفهوم التوحيد بالوقائع الخارجية المادية ، كما أخضعه إلى مرحلية تاريخـيـــة عند قوله : "إن العلماء يشكون من أن العلم كَمَلكة في البشر وكمعرفة لكنهه وتعميمه محدود الانتشار بين الناس ، كما أن ظهوره

بين البشر تاريخياً محدود أيضاً ، وحديث النشأة ، إن التوحيد في مبدئه ومنتهاه إنما هو إيقاظ ملكة العلم"(5) .
ثم يظهر المفهوم المادي لتوحيد الله عندما يقول : "وتوحيد الله يأمر بالنظر إلى الوقائع الخــارجــيـــة للاتصال بالحقائق الخارجية وإعطاء معنى أقدس لظاهرة الكون كعملية إبداع"(6) . ثـم يـصـل جودت سعيد إلى الهدف الأساسي من بحث التوحيد والعلم إلى النتيجة النهائية في تعريف الإيمان : "يصبح العلم في نهاية الأمر هو الإيمان ، والإيمان هو العلم والشرك هو الجهل، والجهل هو الشرك"(7). وتعتبر هذه التعريفات غريبة على العقيدة الإسلامية، ولـيـس مــن الصعوبة إيجاد المصادر المستمدة منها ، فإن سجل الفرق الكلامية الضالة حافل بمثل هذه الآراء، ومثال ذلك قول الجهم بن صفوان : "الإيمان هو المعرفة ، والكفر هو الجهل" .
قد بين النبي - صلى الله عليه وسلم - معنى الإيمان بما لا يدع مجالاً للجدل والانحراف وذلك في حديث جبريل المشهور حين سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الإيمان : "قال : فأخبرني عن الإيمان . قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال : صدقت"(8) ، ولكن جودت سعيد تأثر بالمنهج المادي ، حتى لم يعد عنده للغيب اعتبار ، وقد قال تعالى : ((الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)) [البقرة 3] .
لـقــد قاده هذا الفهم إلى أن يجعل للبشر سلطاناً على تصور وجود الروح من خلال كشف السنن فقال : "هذا الوجود السنني هو نوع آخر من مراتب الوجود ، وربما يكون مدخلاً لتصور وجود الروح ، والله تعالى له الخلق والأمر والروح من أمر الله ، ((قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي)) [الإســراء 85]. وأمر الله، وكلمة الله،وسنة الله ألفاظ قد تكون متقاربة في مدلولها، ولكن سنة الله قد توصف بأنها لا تتبدل ولا تتحول"(9) .

مصطلحات الاعتقاد :

يسخر جودت من الـمـسـلمين حين يعظمون التشكك بالاعتقاد فيقول : "ولكن السلوك هو الكافر (من ترك الصلاة فـقد كفر) والمسلمون عكسوا القضية فعظموا التشكيك في الاعتقاد ، وتهاونوا بالتقصير بالأعـمـــال"(10) .
صحيح أن بعض الفرق تهاونوا بالأعمال ولكن من الخطورة بمـكــان كـبـيـر تعـمـيــم هذه القاعدة ومحاولة عكس مفهوم عقيدة أهل السنة والجماعة، للمصطلحات الشرعية (الإيمان ، والشرك ، والكفر) حيث يعتمد المسلمون في تحديدها على منهج القرآن، قال تعالى: ((إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً)) [النساء 48]. ومنهج أهل السنة في هذه المسألة واضح من خلال قولهم المشهور : "ولا نكفر أحداً من أهــل القـبـلـة بذنــب ما لم يستحله"(11) .
والاستحلال أمر اعتقادي قلبي ، وقد تَبَنَّى الخوارج هذا المنهج واعتبروا مرتكب

الكبيرة - المعصية أو السلوك - كافراً حتى تجرأ هؤلاء على تكفير الصحـابـة وتطـبيق الأحكام الخاصة بالكافرين في حق المسلمين . وقد ذكر جودت مذهبي الجبرية والقدرية ولم يذكـر الرأي الصحيح وهو ما عليه أهل السنة والجماعة إذ يقول : "ومن أسـبـاب جـعـل السلوك البشري خارج العلم وخارج السيطرة عليه أمران : أولاً : فهم العقيدة الدينية فهماً خاطئاً، وهو أن الله يفعل ما يشاء ((ومَا تَشَاءُونَ إلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ...)) [التكوير 29] وتاريخ النزاع طويل بين الذين يرون الجبرية في سلوك البشر، وبـيـن مـن يرون الانسان مخيراً في سلوكه"(12). وظاهر كلامه الانتصار لمذهب المعتزلة الذين يرون أن للإنـسـان مشيئته التامة دون ربطها بمشيئة الله، ويجعلون عقولهم الحكم على أمر الله، فيقولون : يجب على الله.. كذا بناءاً على تصوراتهم البشرية عن الحكمة والعدل ، وهذه النظرة للاعتقاد تحمل جودت على القول : أن الاعتقاد خاضع لعمليات الضبط والتصحيح وذلك حين يقول : "إذا كان عالم الأشخاص يقدم لنا العلم والتوحيد إلا أن العلم والتوحيد لا بد أن تجري فيهما دائماً عمليات التصحيح والضبط "(13) .

كيف بدأ الخلق :

لبيان موقف جودت من موضوعات الخلق نجده يلجأ إلى فكرة إعادة النظر فيما تعتقده الأمة بموضوع كيف بدأ الخلق ، وعند تفسير قوله تعالى: ((قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الخَلْقَ)) [العنكبوت 20] . يقول : "تحتوي هذه الآية الكريمةَ على منهج محدد للبحث يشمل جوانب العالم المادية وغير المادية، الـجـواهــر والأعــــراض حسب تعبير الأقدمين ، فالموضوع يشمل كل الكائنات من الذرة وما دونها من الصـفـــر إلى المجرة بل عموم الكون من المواد العضوية إلى الإنسان الذي هو في أحسن تقويم ، عـضــويـاً وفكرياً واجتماعياً ، ومن الأفكار الأولية التي أعقدها"(14) .

وعن السبب في تبني هذا المنهج يقول جودت : "أن معرفة كيف بدأ الخلق وفهم الأمور على هذا المستوى ، ينبه الإنسان إلى أن الخلق قد ينمو ويتحسن لأن من عرف كيف بدأ الخلق ضعيفاً وعاجزاً ثم نما نمواً بطيئاً وأن هذا النمو اقتضى دهوراً طويلة ، فقد يقوده الـتـأمــل في بدء الخلق إلى التفكير في مصير الخلق"(15) ، ثم يبين جودت الأمور التي تخضع للبحث وعدد بعضها ، فقال : "وعلى مقتضى هذه الآية ينبغي أن يذكر في مقدمة كل مـوضــوع كيف بدأ خلقه ، حتى ما يتعلق بطريقة الإيمان بالله : كيف بدأ الإنسان يدرك معنى الألوهية ، إذن كل موضوع له بدء خلق بالنسبة لدخوله إلى إدراك الإنسان ، وبمقتضى مـا تـطـلـبــه الآيــة يـنـبـغـي أن نعيد النظر في كل ما نراه من حيث كيف بدأ خلقه"(16) .

إن إعادة النظر هذه وإعادة البحث في أمور اعتقادية مقررة في النصوص الشرعية ، يعتبر خروجاً على هذه النصوص وتعطيلاً لمضمونها ، وإن الخطر لا يكمن لمجرد إعادة النظر في هــذه القضايا فحسب وإنما في تغيير مكان

الدليل ، ومكان هذا العلم ، ويقول : "إن هذه الآيــة تنقل موضوع بحث معرفة كيف بدأ الخلق ، من آيات كتاب الله إلى آيات الآفاق والأنفس والسير في الأرض"(17) .
ما هي الحاجة الملحة التي يراها جودت لإعادة النظر بالمعارف التي يتضمنها كتاب الله أو سنة الرسول - صلى الله عليه وسلم -؟
نـسـتـطـيـع أن نشير إلى موضوعين هامين يطلب جودت فيهما إعادة النظر وتغيير الاعتقاد السابق ، وهما بداية الإيمان بالله، وخلق الإنسان، فكيف خلق الله الإنسان؟ من لا يعرف كيف خلق الله الإنسان؟
إن الطفل الصغير ليدرك هذه الحقيقة.. إن الله خلق الإنسان من تراب فقد قال تعالى : ((إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ البَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ)) [الحج: 5] . وقال أيضاً : ((قال : يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ)) [ص: 75] . ثم يبين الله كيف بدأ الخلق: ((الَّذِي أَحْـسَـنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وبَدَأَ خَلْقَ الإنسَانِ مِن طِينٍ)) [السجدة:7] . لقد بين الله تعالى لنا بطريـقـة واضحة كيف بدأ خلق الإنسان ، الخلق والمادة التي كان منها الخلق ، وتفصيلات عن طريقة الخلق ، فلماذا نبحث هذه القضية في مصدر آخر ؟ وما حقيقة أن نطلب تعديل ما هو مقرر في كتاب الله ؟ أليس في ذلك نفي لقدرة النصوص الشرعية ، على تقديم المعرفة العـلـمـيــة الصـحـيحة ؟ ولقد فصل القرآن كل شيء عن خلق الإنسان ، ولا نحتاج إلى تلقي هذه المعلومات من مصادر أخرى .
لقد خالف جودت إجماع المسلمين في تلقي النصوص الشرعية والعمل بها والتحاكم إليها عند التنازع والرضا التام بما يصدر عنها ، ولئن لم يعتقد جودت بتلقي ، كيف بدأ الخلق من الكتاب والسنة فمن أين يحصــل عليها ؟ هل نعود في ذلك إلى الذين ساروا في الأرض وقاموا بالحفريات ثم قالوا بنظرية النشوء والارتقاء ، أو الانتخاب الطبيعي ، أو الصفات المكتسبة ، وقد دحض العلماء هذه النظريات وكذبوها ، ولكن جودت لا يزال يلمح إليها في كل مناسبة ، رغم أنه لا يؤمن إلا بما يصدر عن الواقع والأمر الحسي إلا أنه في موضوع التطور يتخلى عن منهجه المادي قليلاً ليقول بلغة التخيل : "لو تيسر للإنسان أن يراقب فكرياً وضع الكرة الأرضية ونشوء الحياة فيها وأنواع الحيوان التي عاشت عليها ، وأنها يوماً ما كانت الحياة كلها في الماء ، ثم صارت في اليابسة ثم وجد الإنسان ، لماذا لا يخطر لنا أن هذا الخلق لا يزال مستمراً ؟ لماذا لا يخطر لنا أن الخلق لم يتوقف ولا يزال يخلق ، ويزاد في الخلق وأن هناك نشأة أخرى؟؟"(18) . يقـصـد النشأة في الحياة الدنيا أو الانسان المتفوق (السوبرمان)(*) ثم يقول بأسلوب الـسـخـريــة مــن المسلمين: "إن التاريخ سيضطر المسلمين أن يغيروا فهمهم للقرآن ، لهذا يقفون من التاريخ موقفاً سلبياً"(19) .

كيف أدرك الإنسان الألوهية ؟

إن طلب جودت إعادة النظر بموضوع كيف بدأ الإنسان يدرك معنى الألوهية ، وكيف كان الإيمان بالله ، وكيف نتلقي هذا الأمر من خارج القرآن الكريم ؟ تلك أمور تحتاج إلى وقفة مع جودت ، وذلك لأن موضوع إدارك الإنسان الأول - آدم عليه السلام - لمعنى الألوهية لم يكن موضوع اختلاف بين المسلمين، لأن هذه الحقيقة واضحة عندهم، ولا تغيب عنهم، وهم يـتـلـقـونـها من كتاب ربهم وسنة نبيهم ، وأما ميدان هـــذه البحوث والجدل القائم حولها فهو لدى علماء الاجتماع الوضعيين ، الذين يرفضون تـلـقـي هذه العقيدة من مصدر الوحي ، ويظهر أن جودت قد انحاز إلى رأيهم وتبني منهجهم في هذه القضية ، وأصبح يدعو لإعادة النظـــر فيها ، وهو يؤمن كما يؤمنون بمراحل التاريخ وتقسيماته ، إذ يقول جودت عن التاريخ : "قطع الإنسان فيه مراحل ومراحل حين خرج من حياة الصيد إلى الرعي إلى الزراعة، إن تقـسـيـم تاريـخ البشر إلى عصور حجرية وقديمة وحديثة وعصر البرونز والحديد كل ذلك يدل على: كـيـف بـدأ الـخـلـق والـعـلـم وخلــق السـيـطـرة والتسخير"(20) .

ولا يشك المسلمون - كما يفعل علماء الاجتماع - بأن آدم -عليه السلام- كان نبياً وكان موحداً خالصاً ، وأنه تلقي عقيدة التوحيد من الله تعالى : ((إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى العَالَمِينَ)) [آل عمران 33] . وقال تعالى يصف توبة آدم : ((فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ))[البقرة 37] .

هــذا هــو مـنـهــج آدم ومـنـهـج الأنبياء من بعده ، وكلما أتى على هذا المنهج طارئ من المعتقدات المنحرفة ، كان يستدعي إرسال رسول جديد . وظن أصحاب التوجه المادي أن هذه الانحرافات في تاريخ البشر ، هي تطور في تاريخ العقيدة ، فوضعوا على أساس هذا الفهم الخاطئ تـصـــورات عن تطور مفهوم هذه الألوهية ، من التعددية إلى التثليث إلى الثنائية إلى التوحيد ، وأنكروا أن يكون أول البشر مهتدياً موحداً ، وظهرت عند بعض المسلمين هذه الأفكار واستخدموا عبارات علماء الاجتماع الوضعية ذاتها ، مثل قولهم : الأديان العليا ، والأديـــان السفلي ، كما جاء عند جودت في كتاب اقرأ : "لهذا اعتبر توينبي الحضارات نكوصـــاً عن الأديان العليا ، فالأديان العليا إنسانية وسمو."(21) ، والقرآن يرد هذا الافتراء حـيــث يقــول الله تعالى : ((كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ البَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)) [البقرة 213] .

- يتبع -

المراجع :

*- إن الفيلسوف الألماني الملحد نيتشه قد روج لنظرية (السوبرمان) في كتابه : هكذا تكلم زرادشت .- البيان -
1- كتاب "اقرأ وربك الأكرم" ، جودت سعيد ص 117.
2- المصدر السابق ص 116 .
3- المصدر السابق ص 119 .
4- المصدر السابق ص 120 .
5-7- المصدر السابق ص 117 .
8- جزء من حديث طويل عن عمر أخرجه البخاري "باب الإيمان" ، حديث 50 ومسلم 1/1 .
9- كتاب "اقرأ وربك الأكرم" ، ص 93 ، ذكرت هذه الفقرة بالعدد 64 ص 28 .
10- المصدر السابق ص 116 .
11- العقيدة الطحاوية ص 316 .
12- كتاب "اقرأ وربك الأكرم" ، ص 87 .
13- المصدر السابق ص 204 .
14- المصدر السابق ص 209 .
15- المصدر السابق ص 212 .
16- المصدر السابق ص 210 .
17- المصدر السابق ص 215 .
18-19- رسالة انظروا 40 اللغة والواقع ص 10 .
20- كتاب اقرأ ص 90 .
21- المصدر السابق ص 193 .

في وضح النهار

هرقل والعلمانيون

د. عبد الرحمن صالح العشماوي

ما أزال أعجب كلَّ العجب ، وآسى كـلَّ الأسى على فئات من المسلمين يرفعون شعارات بعيدة عن الإسلام ، ويدعون إليها وينافحون عنها ، وينالون من الإسلام وأحكامه وشعائره من أجلها ، ويهاجمون دعاة الإسلام ورجالـه المصلحيـن ليل نهار ، أعجب والله من ذلك كلَّ العجب ، وأسأل الله السلامة والعافية وأحمده على صحـة الـمعتقد ، وسلامة العقل ، وأسأله الثبات على الحق .

إنَّ الذي يتأمل "الطرح العلماني" في صُحفنا ووسائل إعلامنا في هذه الأيام يشعر بالحـــزن لحـال هذه الفئة "العلمانية" التي أغلقت عقولها وقلوبها أمام الحق ، ورضيت لنفسها أن تتخبط في دروب الضياع .
ومــع أنـنــا لا نسـتـغـرب "الهجمة العلمانية" الشرسة - هذه الأيام - التي يشنها أدعياء الثقافة والفكر على إسـلامـنـا ورجاله فإنها "شنشنة نعرفها من أخزم" ، وقد تعودنا على مثل هذه الهجمات من "اليساريين" الذين أفرغوا - في زمن مضى - ما في قواميس اللغة من عبارات السِّباب والشتم للـديـن والـدعـاة الملتزمين به والداعين إليه ، مع أننا لا نستغرب هذه الهجمة ، إلا أننا نستغرب هذا الـقــدر الهائل من الوهم الذي تشقى به عقول هؤلاء العلمانيين ، وهذا القدر الكبير من "الغباء" الذي يُعمي أبصارهم عن رؤية الحق .
فهذه الأنظمة البشرية ، والمذاهب والأفكار والمعتقدات الوضعية تتهاوى واحداً تلو الآخر، وتنهار بصورة مروِّعة أمام أعين الناس ، ومع ذلك ما تزال فئة "العلمانية" في بلادنا جادة في طرح أفكار الغرب ، وطروحات الغرب السـيـاسـية والثقافية ، وكأن ما يجري في العالم من سقوط لتلك الأفكار إنما هو شريط خيال يمر، أو مشهد من مسرحية "مأساوية" لا علاقة له بالواقع المعاش .
أحدهم يكتب المقالات الطوال مؤكداً أهمية "الـمـشـروع الغربي" سياسياً وثقافياً واجتماعياً لإنقاذ الأمة من ضعفها وتخاذلها ، ويرى أن النظام العالمي الجديد مظلة يمكن أن نستظل بها، وأن نعيش حياة العزة والكرامة تحت سقفها، ويرى أن هــؤلاء الـمتخلفين أصحاب النظرة الأحادية من "دعاة الإسلام ورجاله" إنما يريدون أن يعودوا بالأمــة إلى الوراء وأن يمارسوا نوعاً من "التسلط الديني" على رقاب الناس .
وآخر من فئة "العلمانيين" يرى أن علمنة الفكر والثقافة والنقد الأدبي أمرٌ لا بد منه إذا أردنا الخروج من سجن "الفكرة الواحدة" و "النظرة الواحدة" إلى فضاءات الحرية الثقافية التي لا حدود لها ، وهي حرية - في رأيه متحققة - في "المشروع الثقافي الغربي" .
وآخر يقول : إن فكرة النظام العالمي الجديد ستساعدنا على التخلص من سيطرة "الدوغما" أي من سيطرة العقيدة والمبدأ ، فهو يرى أن سبب تخلُّف الأمة العربية هو التزامها بالمبدأ مما يشكل "سلطوية دينية"(*) تحكم الثقافة العربية والعقل العربي ، ولذلك تخلف العقل العربي عن اللحاق بالعقل الغربي في ميادين العلم والثقافة والسياسة وغيرها .
إن هـــذا الاتجاه المخيف - عند فئة "العلمانيين" - إلى ثقافة الآخرين وفكرهم ومذاهبهم بحاجة إلى طرح واع ودراسة واعية ، إنها فجيعة كبيرة يجب أن لا تمر بنا هكذا ، ففي الوقت الذي طلعت فيه الشمس صافية لا يكدر وجهها غبار ولا غيوم ، وفي الوقت الذي تتهاوى فيه طروحات الديموقراطية الغربية إلى الحضيض؛ كما تهاوت قبلها الأيديولوجية الروسية - وما جرى في الجزائر

دليل على ذلك - وفي الوقت الذي يعلن فيه الغرب عودة أساليب الاستعمار العسكري بشكل واضح فيه قدر كبير من التبجح - كما هو الحال في البوسنة والهرسك والصومال - أقول : في هذا الوقت ما نزال نرى هذا الاندفاع الأعمى من فئة "العلمانيين" في بلادنا في هذه الطرق المعوجّة المنحرفة ، وما نزال نرى هذا التحامل على الإسلام وأهله وعلى كتابه وسنته ، وأقول لفئة العلمانيين من أبناء المسلمين : ألا يسعكم ما وسع هرقل الروم في موقفه الإيجابي من دعوة الرسول -عليه الصلاة والسلام- حينما قال - كما ورد في صحيح البخاري -: "قد كنت أعلم أنه خارج - يعني النبي عليه الصلاة والسلام - لم أكن أعلم أنه منكم ، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشَّمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت قدمه". ألا يخجلكم أيها العلمانيون موقف هرقل هذا ؟

الهوامش:

*- يعتبر الكاتب السوري علي أحمد سعيد المسمى : أدونيس من ألد أعداء الإسلام المروجين لهذه الآراء الفاسدة . وتحتل مقالاته مكاناً بارزاً في الصحف والمجلات العربية . بالإضافة إلى مقالات زوجته : خالدة سعيد ، ومقالات ابنته : أرواد أسبر .

خواطر في الدعوة

طبيعة الإسلام

محمد العبدة

إن طبيعة الإسلام تأبى أن يقوى عوده، ويعلو شأنه، عن طريق المؤتمرات التي تعقد في الفنادق الفخمة ، وفي الصالات والردهات التي تنفق عليها عشرات الألوف إن لم نقل مئات الألوف من الدولارات . ويبدو هذا الأمر واضحاً للدعاة الذين تمرسوا بالدعوة، وعاشوا همومها ، وتدراسوا السيرة النبوية وعاشوا مراحلها من حراء إلى حصار الشعب، ومن الدعوة في الطائف والاتصال بالقبائل إلى الهجرة والجهاد ، ثم بناء الدولة .

إن القرآن الكريم قد ذمّ الترف والمترفين ، ونهى المسلمين عن الركون إلى ذلك ، ودعا إلى القصد وعدم الإسراف في شؤون الحياة . كما نهى عن إنفاق الأموال الكثيرة في سبيل الكماليات ورغد العيش، وهذا أمر مطلوب إذ كان الإسلام هو الحكم المنتصر، الضّاربُ بجُرّانه في الأرض، فكيف إذا كان في غربة وأهله مستضعفون متخطفون في الأرض، يحاربهم القريب قبل البعيد ؟!

إن الإسلام لا يقوى إلا بالجهد والتعب ، ولا يقوى إلا بالإيواء الذي يوفر للمسلم الأمن النفسي والاجتماعي، ولا يقوى إلا بالنصرة التي تأخذ للمظلوم من الظالم ، وتحقيق معاني المؤاخاة والموالاة على أرض الواقع وليس في طيات الكتاب المؤلفة عن (الأخوة الإسلامية) ، ((إن الذين إنَّ الَذِينَ آمَنُوا وهَاجَرُوا

وجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ والَّذِينَ آوَوا ونَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ)) [الأنفال 72] .
منذ أن نشأت ظاهرة المؤتمرات في الفنادق لم نجد لها أثراً كبيراً في تقوية جبهة الإسلام ، وإن ما ينفق عليها يمكن أن يؤسس مدرسة بل كلية في بلاد المسلمين الفقيرة ، كي يتخرج منها مئات الطلبة الذين يتربون على منهج سليم ، وأخلاق عالية ، لأن أولئك هم الذين يمكن أن يحدثوا أثراً فعالاً في بلادهم .
كيف نقدم أموالنا للغربيين (أصحاب الفنادق) ثم نقول : إن ما نقوم به هو خطوة كبرى في سبيل تقدم الإسلام ، وإذا كان أمر المؤتمرات بهذه الأهمية فلماذا لا تكون للمسلمين أماكن مُعدّة لهذا الغرض ، وتكون ملكاً لهم حتى لا تذهب أموالهم سدى .

الحركة العلمية في بلاد الحجاز في العهد الأموي(*) (4)

د. محمد أمحزون

الفقه :

يقرر الرأي السائد والواقعي عن تطور التأليف في كثير من ميادين المعرفة في العصر الأموي: أن كتب الإخباريين الكثيرة في القرن الثاني الهجري؛ أمثال كتب: ابن إسـحاق، وسيف بن عمر، وأبي مخنف، والواقدي هي عملية جمع لما تفرق من كتب سابـقة ، وأن تفاسير كثيرة للقرآن الكريم في القرن الأول الهجري قد دخلت في المؤلفات التي ظهرت بعد ذلك، وأن مـؤلـفــات الـحـديث في القرنين الثاني والثالث الهجريين سبقتها كتب أخرى مهَّدت لـهــا، وبـنـاء على ما تقدم يمكننا أن نعد كتب الفقه الضخمة التي ألفت في القرن الثاني الهجري نتيجة تطور مواز .
ولا شطط في ذلك ، فقد شهدت بلاد الحجاز في القرن الأول الهجري نشاطاً فقهياً منقطع النظير . وتميزت به المدينة المنورة بفقهائها السبعة المرموقين وهم : سعيد بن المسيب (ت 94 هـ) وسليمان بن يسار (ت107 هـ) وسالم ابن عبد الله (ت 106 هـ) والقاسم بن محمد (ت 120 هـ) وعروة بن الزبير (ت 94 هـ) وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود (ت بعد 90 هـ) وخارجة بن زيد بن ثابت (ت 100 هـ) وهؤلاء قد كونوا مجلساً للفقه والنظر تدور عليه الفتوى ، وكانوا إذا وردت عليهم مسألة ، أو قضية من القضايا المستجدة جلسوا جميعاً فتأملوها ، وأصدروا ما يلزمها من فتوى أو رأي(1) .

وقد كون عمر بن عبد العزيز - عندما كان عاملاً على المدينة - مجلساً استشارياً يتألف من هؤلاء الفقهاء(2) . وتشير الروايات إلى خبر لهشام بن عروة يقول: أن كثيراً من كتب الفقه كانت في حوزة أبيه عروة بن الزبير يوم الحرّة (سنة 63 هـ)، وأنها احترقت كلها، فحزن لذلك حزناً شديداً(3) . بل منذ زمن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه وجدت مــسـائــل فـي الفقه مدونة، فعندما وُلِّيَ عمر بن عبد العزيز إمارة المدينة أمر بالبحث عن مدونتين قديمتين، الأولى : "كتاب الصدقات" للنبي - صلى الله عليه وسلم - ، والأخرى بنفس التسمية لعمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وقد احتفظ بالنسخة الأصلية للمدونة الأولى أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم (ت سنة 120 هـ)(4) . وكان جد والده عمرو بن حزم تلقاها من النبي - صلى الله عليه وسلم - . وفيها كلام في الفرائض والزكاة والديات والصلاة وغير ذلك(5) ، وقد دخلت هذه الرسالة فيما بعد في كتب الحديث التي تشمل أبواباً فقهية(6) .

وتلقى أنس بن مالك كتاباً من أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - عن فرائض الصدقة كما بَيَّنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (7) . وكانت لعلي - رضي الله عنه - صحيفة دوّن فــيــها مسائل فقهية تحفظ عادة في قراب سيفه(8) . لكن الأفضل أن تسمى - الكتب المذكورة آنفاً - فتاوى فقهية لا رسائل في الفقه .

ويمكن اعتبار أول رسائل فقهية حقة تلك التي ظهرت في عصر بني أمية من تأليف شباب الــصــحابة والـتـابـعــين، ويعد زيد بن ثابت (ت بعد 50 هـ) من الفقهاء المشاهير في تلك الــفــتــرة، روى عــنه تلميذه قبيصة بن ذويب كتاباً في الفرائض (9) . كما رواه عنه ابنه خارجة، وهو من مرويات ابن خير الإشبيلي(10) ، وهناك أخبار كثيرة حول هذا الكتاب احتفظ بها البيهقي في كتاب السنن في الباب الخاص بالميراث. وقد أفرد فيه قسماً خاصاً لزيد بن ثابت ومكانته الممتازة في الفقه وكتابه الفرائض(11) ، ويتضح من الأخبار أن هذه الرسالة عُدَّت عند التابعين مصدراً لا غنى عنه في موضوع المواريث ؛ ويتضح ذلك في قول الزهري:"لولا أن زيد بن ثابت كتب الفرائض لرأيت أنها ستذهب من الناس(12)

ومـمــا يدل على تقدير هذا المصنّف أنه شرح في وقت مبكر ، حيث شرحه أبو الزناد عبد الله بن ذكـوان المدني (ت 132 هـ) وكان أحد كبار فقهاء التابعين بالمدينة ، ووصف بأنه كان صاحب علم وحساب ، بصيراً بالعربية(13) ، ومن العلماء الذين شغلوا بالفقه في ذلك الوقت قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة الخزاعي المدني تلميذ زيد بن ثابت . وقد اتفقت الآراء على أنه كـان ذا مــكـانــة مرموقة بين فقهاء الطبقة الأولى(14) وقد ذكرنا سابقاً أنه راوية كتاب الفرائض لزيد بن ثـابـت - رضي الله عنه - ، أما آراؤه فقد وصلتنا عن طريق بعض كتب الحديث والفقه(15) .

وكان زيد بن أسلم (ت سنة 136 هـ) من مشاهير الفقهاء بالمدينة ؛ وهو أحد الفقهاء الذين دعاهم الوليد بن يزيد إلى دمـشــق ليسمع فتاواهم في قضايا فقهية(16) . أما آراؤه الخاصة فقد جمعها ابن عبد البر نقلاً عن الموطأ في كتابه "التجريد" بعنوان : مراسيل زيد بن أسلم (17) .
وتشير الأخبار إلى أنه كان من المألوف في العصر الأموي تبادل الرسائل في المسائل الفقهية . وقد كتب مثلاً نافع بن الأزرق (أحد زعماء الخوارج) إلى ابن عباس - رضي الله عنه - يسأله عن رأيه في نصيب الأقارب في الميراث ويسأله عن رأيه في قتل الأطفال(18) .
يبدو أن بداية تأليف كتب الفقه المصنفة حسب الأبواب الفقهية كان في أواخر القرن الأول الهجري، إذ يذكر ابن قيم الجوزية: أن مصنفاً للزهري في الفقه كان في ثلاثة أسفار ، وأن فتاوى الحسن البصري كانت في سبعة أسفار مرتبة على أبواب الفقه(19) .

وفي تلك الفترة أيضاً برز فقهاء مهدوا لمدرسة الرأي منهم علقمة بن قيس (ت سنة 62 هـ) والأسود بن يزيد (ت سنة 75 هـ) . وكان على رأس هؤلاء ربيعة بن أبي فروخ (ت سنة 136 هـ) ، روى عن الصحابي أنس بن مالك وعن كبار التابعين (20) وأبرز تلاميذه مالك بن أنس (21). وكان الناس يلجأون إليه عند عدم وجود نص، فسمي ربيعة الرأي (22)، تقديراً له ، ولذلك قال مالكاً : "ذهبت حلاوة الفقه منذ مات ربيعة"(23) ، ويبدو أن له كــتـاباً في الفقه أفاد منه المالكية في كتبهم ، إذ يذكر صاحب المدونة بعض آراء ربيعة في الفقه (24) . والراجح أن مالكاً قد استخدم هذا المصنف الذي يحتوي على عدد كبير من آراء ربيعة في كتابه الموطأ(25) .

العقائد :

ترتبط بـدايـــات الـدراسات العقيدية الإسلامية ارتباطاً وثيقاً بالأحداث السياسية في صدر الإسلام ، إذ شهد عــصـــر ما بعد الفتنة ظهور فرق تميزت بنظريات وآراء خاصة بها في المجال السياسي . فمن الحقائق المعروفة في التاريخ الإسلامي أن قضية الخلافة التي واجه فيها الخوارج فكرة الإمامة عند الشيعة قد تطورت تطوراً سريعاً إلى نقاش حول القدر ، ثم تطور ذلك النقاش إلى فروع أخرى من العقيدة مـــثــل: مرتكب الكبيرة أكافر هو أم مسلم؟
فلما غالى الخوارج في الوعيد بتكفيرهم أصحاب الكبائر واعتبارهم مخلدين في النار بالغت المرجئة في الوعد ، وارجأت الحكم على أهل المعاصي إلى يوم الحشر مع تفويض أمرهم إلى الله إن شاء غفر لهم وإن شاء عذبهم(26) .
وإزاء تلك المواقف المتطرفة للفرق ، هب أهل السنة والجماعة لنصرة الحق ، وبيان العقيدة الصحيحة، وتحذير الأمة من تلك المذاهب الضالة . فبدأت

مرحلة جديدة عنى فيها علماء السنة بالـتــدوين والتأليف لبيان العقيدة الصحيحة والردّ على المنحرفين عنها ، واتخذت مصنفاتهم منهجين اثنين: الأول منهج الردّ ، والثاني منهج العرض .
وقـد نـشـط أرباب الفرق بدورهم في مجال التأليف ، وخاصة المعتزلة ، وقد كان واصل بن عطاء (ت 131 هـ) مؤسس مدرسة الاعتزال بليغاً مفوهاً، مـكّــنــتــه قــدرتـه اللغوية من التصنيف في مذهبه، فألف عدداً من الكتب منها: كتاب "المنزلة بين المنزلتين" ، وكتاب "العدل والتوحيد"(27) ، وكتاب "أصناف المرجئة" (28) .
لـقــد كــثــر التأليف في الرد على القدرية ، واعتبر أقدم ضروب المصنفات العقيدية . ومن أوائل من ألـــف في الردّ على القدرية أبو الأسود الدؤلي (ت سنة 69 هـ) في مصنفه المسمى "رسالة في ذم القدرية" (29) . كما ألف آخرون كتباً في الردّ على القدرية والمعتزلة مــثــل عيسى بن عمر الثقفي، ويحيى بن معمر (ت 89 هـ) ، وزيد بن علي الهاشمي المدني (ت سنة 122 هـ) . وهذا الأخير صنف كتابين في الرد على القدرية والمعتزلة وهما : "الـــردّ على القدرية" و "رســالـــة في الإمامة إلى واصل بن عطاء"(30) .
وصــف الــبــغــدادي كــتــاب الـردّ على القدرية للخليفة عمر بن عبد العزيز بأنه رسالة بلـيـغة(31) . وصنف جعفر الصادق الهاشمي (ت سنة 103 هـ) ثلاثة رسائل في الردّ على القدرية والخوارج والرافضة (الشيعة)(32) .
أمــا كــتــب الــقــدريــة أنفسهم فلا يعرف منها إلا كتاب القدر لوهب ابن مُنَبِّه (ت سنة 110هـ/728 م)(33). ويــقــال إنــه ندم بعد ذلك على تصنيفه (34) . أما كتب غيلان بن مسلم وهو من أوائل من قال بالقدر فيبدوا أنها ضاعت ، وقد ذكر له ابن النديم مجموعة من الرسائل في "الفهرست"(35) . وهناك مجموعة من خطبه وصلت إلينا في كتاب "عيون الأخبار" لابن قتيبة(36) .
وترجع أقدم المؤلفات حول الإرجاء والردود عليها إلى تلك الفترة ايضاً ، فأول من تكلم في الإرجاء الحسن بن محمد بن الحنفية الهاشمي المدني (ت سنة 99 هـ) ، ويقال أن رجلان (وهما زاذان وميسرة) دخلا عليه فلاماه على الكتاب الذي وضع في الأرجاء، فقال لزاذان: لَوَدَدْتُ أني متُّ ولم أكتبه (37). ثم كتب الرسالة التي نبذ فيها الإرجاء بعد ذلك (38). والرسالة الأولى في الإرجاء ذكرها ابو عمر العدني في كتابه "الإيمان"(39).
ويصور ثابت قطنة (ت 110 هـ) الشاعر الأموي المشهور عقيدة المرجئة وفكرهم في قصيدة محكمة البناء نظمها لبيان الإرجاء الخاص بالصحابة بعد الفتنة ، وهو ما يسمى بإرجاء المرجئة الأولى . ومطلع القصيدة :

يا هند فاستمعي إن سيرتناأن نعبد الله لا نشرك به أحدا
نرجي الأمور إذا كانت مُشَبَّهة ونصدق القول فيمن جار أو عندا

وقد وردت هذه القصيدة في كتاب "الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني"(40) . وترجمها "فان فولتن" إلى اللغة الألمانية ، و "ألفرد فون كريمر" إلى اللغة الألمانية ، كما ترجمها "نالينو" إلى اللغة الإيطالية(41) .

وهناك بضع رسائل وقصائد ذات مـضـمــون عقيدي ألفها ونظمها زعماء الخوارج ، ومنها كتاب العقيدة لعبد الله بـن أباض المري الـذي عـــــاش في النصف الثاني من القرن الأول الهجري (42) . ولأبي حمزة مختار بن أوس الأزدي (ت سنة 90 هـ) مـجـمــوعـــــة مـن الـعـظـــات في باب العقيدة(43) . وأورد أبو مخنَّف في كتابه "الغارات" بضع رسائل ذات مضمون عقـيـدي ألفـهـا زعماء الخوارج في مناقشاتهم وجدالهم مع بعض الصحابة مثل ابن عباس (44) .

كما عبر الخوارج عن آرائهم وعـقـائدهم عبر خطبهم وأشعارهم . وكان قَطَرِيّ بن الفُجَـاءة، وعمران بن حطان ذوي مــوهـبة حقيقية في الشعر والخَطابة ، وسخرا خطبهما وأشعارهما للدعوة إلى عقيدة ورأي الخوارج. وهناك نصوص وردت من ذلك في كتاب "البيان والتبيين" للـجــاحــظ (45)، و "المـؤتـلــف والمختلف" للآمدي (46)، وقد جمع إحسان عباس هذه الأشعار في كتاب ونشرها بعنوان "شعر الخوارج"(47) .

وفي الخـتـام يمكن القول: أن الأمويين أَصَّلوا مبادئ بعض العلوم، وفتحوا طريق التأليف، إذ نشط الـتـدويــن والكـتابة في عصرهم ، وكثرت المؤلفات ذات الصبغة العربية الإسلامية الخالصة ، ولو أن الزمن أغار على جُلِّها وأضاعها .

وبصفة خاصة: إن الأمويين يمثلون بحق طبيعة العربي المتحضر، تلك الطبيعة التي تتبلور مـن خــلال مـيـلهم للحضارة والعمران والفن، والآداب والشعر، وعنايتهم بمختلف العلوم وتشجيع أهلها .

الهوامش :

*- تابع لما قبله ، انظر العدد 55 ص 47 (التفسير) والعدد 56 ص 66 (الحديث) والعدد 61 ص 60 (السيرة والمغازي) .

1- ابن سعد: الطبقات ، 5/334 .

2- ابن سعد: المصدر نفسه ، 5/179 .

3- انظر أبو عبيد: الأموال ، ص 501-502 .

4- السرخسي : المبسوط ، 2/152 .

5- ابن حجر: الإصابة ، 2/1264 .

6- النسائي : السنن ، كتاب القسامة ، 8/57-58 .

7- أحمد: المسند ، 1/183-184 ، والخطيب : تقييد العلم ، ص 87 .

8- النسائي : المصدر السابق ، كتاب القسامة ، 8/24 .

9- أحمد: العلل ، 1/236 .

10- ابن خير الأشبيلي : فهرست ما رواه عن شيوخه ، ص 246.

11- البيهقي : السنن ، 6/213،226،232،245،247 .
12- الفسوي : المعرفة والتاريخ ، 1/486 .
13- ابن سعد: المصدر السابق ، ص 320 (القسم المتمم لتابعي أهل المدينة) ، والذهبي : سير أعلام النبلاء ، 5/447 .
14- الشيرازي: طبقات الفقهاء ، ص 33 .
15- انظر أبو داود: السنن ، كتاب الفرائض ، 3/121 ، ومالك : الموطأ : كتاب الفرائض ، ص 418-420 .
16- الذهبي : تاريخ الإسلام ، 5/251 ، وعبد القادر بدران : تهذيب سيرة تاريخ دمشق ، 5/442 .
17- ابن عبد البر: التجريد ، ص 51-54 .
18- ابن أبي حاتم : العلل : 1/307 ويعني قتل أطفال المخالفين له (الخوارج) لأنه يعتبرهم كفاراً .
19- ابن القيم : إعلام الموقعين ، 1/26 .
20- ابن حجر: تهذيب التهذيب ، 3/258 .
21- ابن حجر: المصدر نفسه ، 3/258 .
22- الجاحظ : البيان والتبين ، 1/102 .
23- الذهبي : سير أعلام النبلاء 6/91 .
24- انظر: مالك : المدونة (رواية سحنون) ، 1/15-35 .
25- انظر: التجريد لابن عبد البر ، ص 34-38 .
26- الأشعري : المقالات ، 1/89-157-189 ، وابن حزم : الفصل في الملل والنحل ، 1/115 -157
27- الذهبى : سير أعلام النبلاء ، 5/465 .
28- سزكين : تاريخ التراث العربي ، 4/19 .
29- البغدادي : أصول الدين ، ص 316 .
30- البغدادي : المصدر نفسه ، 307-308 .
31- البغدادي : المصدر نفسه ، 307 .
32- البغدادي : المصدر نفسه : ص 307-308 .
33- ابن عساكر: المصدر السابق ، 17/479 .
34- ياقوت : معجم الأدباء ، 7/233 .
35- ابن النديم : الفهرست ، ص 17.
36- ابن قتيبة : عيون الأخبار ، 2/345 .
37- ابن سعد: المصدر السابق ،5/328 .
38- المزي : تهذيب الكمال ، 1/279 .
39- العدئي : الإيمان ، ص 148 .
40- أبو الفرج : الأغاني ، 14/271 .
41- سزكين : المرجع السابق ،3/102 .

42- سزكين : المرجع السابق ، 4/5 .
43- أبو الفرج : المصدر السابق ، 20/103 .
44- سزكين : المرجع السابق، 4/5 .
45- الجاحظ : المصدر السابق ، 2/126 .
46- الآمدي : المؤتلف والمختلف ، ص 91 .
47- نشرته دار الثقافة في بيروت عام 1974 .
*- لم يذكر الكاتب اسم المرجع ، فمن إحالته الأولى قال : المصدر السابق . والمرجح أن المرجع المشار إليه هو: تاريخ دمشق .

وقائع برلمانية

د. أحمد إبراهيم خضر

"»**لـم** أكـن أظـن أن مـا قـضى الله به في كـتابه وعلى لسان رسوله - صلى الله عليه وسلم - يحتاج إلى موافقة عباد الله ، ولكنني فوجئت أن قول الرب الأعلى يظل في المصحف - له قـداســتــه في قلوبنا - إلى أن يوافق عباد الله في البرلمان على تصيير كلام الله قانوناً . وإذا اخـتـلـف قـرار عباد الله في البرلمان عن حكم الله في القرآن فإن قرار عباد الله يصير قانوناً معمولاً به في السلطة القضائية مكفولاً تنفيذه من قبل السلطة التنفيذية ؛ ولو عارض القرآن والسنة . والـدلـيـل على ذلك أن الله حرم الخمر ، وأباحها البرلمان . وأن الله أمر بإقامة الحدود ، وأهدرها البرلمان . والنتيجة على ضوء هذه الأمثلة أن ما قرره البرلمان صار قانوناً رغم مخالفته للإسلام" .

هذه الكلمات هي خـلاصــة ما انـتهى إليه أحد علماء الإسلام بعد أن قضى ثماني سنوات كـنـائـــب في الـبـرلمان . وكان ذلك النائب العالم قد أحس بضرورة الخطابة على المنابر ، والكتابة في الصحف، بعد طول معايشته لتلك الأساليب ، ازداد إيماناً بجدواها لكنه شعر أنـهــا وحــدها لا تـحـدث تـغييراً في القوانين ، ولا تأثيراً مستمراً في السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية ، فـرشــح نفسه لعضوية البرلمان بحثاً عن أسلوب جديد لإعلاء كلمة الله تعالى بتطبيق الشريعة الإسلامية ، إنقاذاً للعباد من الضلالة وتخليصاً لهم من الأباطيل ودفعاً بهم إلى رحاب الإسلام .

فاز العالم بعضوية البرلمان تحت شعار "أعطني صوتك لنصلح الدنيا بالدين" وأعطاه الناس أصواتهم ثقة فيه رغم كل وسـائــل الـتـزييف والتزوير في الانتخابات . واستمر النائب في عضوية البرلمان دورتين متتاليتين ثم قال بعدها : "إنه عَزَّ على البيان الإسلامي أن يجد صداه المنطقي في هاتين الدورتين " .

ذهــب الـنـائب العالم يوماً إلى واحدة من مديريات الأمن لقضاء مصالح مواطنيه ففوجئ في مكتب الآداب بحوالي ثلاثين امرأة يجلسن على البلاط

فسأل قائلاً : ما ذنب هؤلاء؟ فقال لـه المـسـؤول: إنـهـن الساقطات ! فسأل وأين الساقطون؟ إنها جريمة لا تتم إلا بين زان وزانية . فأخبره المســؤول بأن الزاني عندهم هو مجرد شاهد بأنه قد ارتكب الزنا مع هذه وأعطاها على ذلك أجــراً فهي تحاكم ليس لأنها ارتكبت الزنا ولكن لأنها تقاضت الأجر. فــتــحــول المّقُرُّ والمـعترف بأنه زان إلى شاهد عليها ولا يلتفت القانون إلى إقراره واعترافه بالزنا .

غضب النائب العالم غضبة لله، فقال له المسؤول ببساطة: "نحن ننفذ قانوناً أنتم أقررتموه في البرلمان".

أدرك الـنـائــب العالم أنه مهما كثرت الجماهير المنادية بتطبيق الشريعة ، ومهما ساندها كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - فإن الآمال في تطبيق الشريعة لا يمكن أن تتحقق إلا عن طريق البرلمان الذين يسمونه (السلطة التشريعية) ، ولأن السلطة القضائية لا تـحـكــم إلا بـالـقـوانين التي تصدر عن البرلمان، وأن السلطة التنفيذية لا تتحرك لحماية القرآن والسنة، ولا لحماية الإسلام إلا بمقدار ما أقره البرلمان من هذه الجوانب المقدسة، اعتقد النائب العالم بأن الوصول إلى هذه الغاية ممكن إذا علم نواب البرلمان أن هذا هو قول الله، وقول رسوله، وحكم الإسلام ليقروه .

انطلق النائب الـعـالــم فقدم مشروع قانون لإقامة الحدود الشرعية، ومشروع قانون لتحريم الربا مع اقتراح الحل البديل، ومشروع قانون لتطويع وسائل الإعلام لأحكام الله، ومشروع قانون لرعاية حرمة شـهر رمــضــان، وعدم الجهر بالفطر في نهاره، ومشروع قانون لتنقية الـشــواطـئ من العربدة، والعديد من المشاريع الإسلامية الأخرى . ووقع معه على مشاريع هذه القوانين عدد كبير من أعضاء البرلمان . وذهب النائب العالم لأداء العمرة ، واصطحب معه بعض أعــضــاء البرلمان ، وعند الحجر الأسود عاهدوا الله جميعاً على مناصرة شريعة الله في البرلمان ، ثم ركبوا الطائرة إلى المدينة المنورة ، ثم تعاهدوا في رحاب المسجد النبوي على رفع أصواتهم لنصرة شرع الله لا لنصرة انتماءاتهم الحزبية .

حــمّــل الـنــائــب الـعـالـم السلطات الثلاث في الدولة مسؤولية إقرار المحرمات ومخالفة الشريعة، وتوعد وزير العدل آنذاك بأنه سيستجوبه بعد بضعة شهور إذا هو لم يقدم ما تم إنجازه من قوانين تطبيق الشريعة الإسلامية . ولم يقدم الوزير ما طلبه منه النائب فوجه إليه النائب استجواباً - والاستجواب في عرف البرلمانات ملزم للمستجوب بالرد عليه ما لـم تـســقــط عــضــوية الوزير أو يخرج الوزير المستجوب من الوزارة - وأصر النائب على استجواب الـوزيــر ووقفت الحكومة خلف وزيرها، وأصرت على إسقاط الاستجواب، ولما اشـتــد إصــرار النائب على الاستجواب أحدثت الحكومة تعديلاً وزارياً لم يخرج منه إلا وزير العدل، أي أن الـوزيـر أخرج من

الوزارة ليسقط الاستجواب، وتكرر هذا العمل حتى أصبح قاعدة من قواعد التعامل مع البرلمان .
لجأ النائب العالم مرة ثانية إلى أعضاء البرلمان وقال لهم : إن مشاريع القوانين الإسلامية وضعت في أدراج اللجان، وقد عاهدتم الله في الحرمين على أن تكون أصواتكم لله ورسوله، وطـالـب بـتـوقـيعهم على المطالبة بالتطبيق الفوري للشريعة الإسلامية فاستجابوا ، ووقعوا على ما طالبهم به ووضع النائب العالم هذه الوثيقة في أمانة البرلمان، وطالب باسم النواب جميعاً النظر في قوانين شرع الله . فقام رئيس البرلمان وطالب باسم النواب جميعاً النظر في قوانين شرع الله . وقال للنواب: إن الحكومة لا تقل عنكم حماسة للإسلام ، ولكننا نطلب مـنـكـم فرصة للمواءمات السياسية، فصفق له النواب الموقعون، المتعاهدون في الحرمين على الـعـمـل على تطـبـيــق شريعة الله، ووافقوا على طلبه، فضاعت المطالبة بالتطبيق الفوري للشريعة وانتصرت الحكومة .
غـلـب الــيــأس الـنـائـب العالم لعدم جدوى محاولاته في سبيل تطبيق الشريعة مع أعضاء يـنـاديـهـم فيستجيبون ثم يعدلون، ثم فوجئ يوماً باقتراح من رئيس البرلمان للموافقة على تكوين لجنة عامة لقوننة الشريعة الإسلامية، وتبين حقيقة الأمر فوجد أن قرار الحكومة المفاجئ هــذا لـم يـكـن إلا تغطية لفضيحة كبرى مست كرامة البلاد . ولم تتخذ الحكومة قراراً لصالح الإسلام . ورحب النائب بالفكرة رغم فهمه لأبعادها ، واجتمعت اللجنة لكن النائب العالم أحــس عــدم جــدية الدولة في تطبيق شرع الله لأنها إذا أرادت إرضاء الله فهناك أمور لا تحتاج إلى إجراءات . فإغلاق مصانع الخمور يمكن أن يكون بجرة قلم . وإغلاق الحانات يمكن أن يتم بجرة قلم .
كانت هناك مظاهر تدل على ما في الأعماق حقيقة ، تضافرت كلها لتترك في نفس النائب العالم انطباعاً - يشكل في حد ذاته قاعدة من قواعد التعامل مع البرلمانات - مؤداه : أن شرع الله لن يتحقق أبداً على أيدي هؤلاء .
فـوجـئ الـنـاس وفوجئ النائب العالم بحل البرلمان بعد أن كان هو رئيساً للجنة مرافعات تطـبـيـق الـشـريـعة الإسلامية ، وظل يوالي مع اللجنة عملية الدراسة والتقنين عبر ثلاثين اجتماعاً . وفي غيبة البرلمان صدر قرار خطير في مسألة تمس حياة الناس الشخصية . فـوقف النائب العالم ضد هذا القرار لأنه مخالف للإسلام والدستور، ولكن القاعدة تقول: أن البرلمان كله يمكن أن يحل بقرار إذا أرادت الدولة فرض أمر على الناس حتى ولو كان مخالفاً للإسلام .
أما أهم قاعدة يستند إليها البرلمان فقد لخصها النائب العالم بقوله : "إنه مهما أوتيت من حجج ومهما استند موقفي إلى الكتاب والسنة فإن من عيوب البرلمان ومسؤوليته الفادحة أن الــديـمـوقـراطــية تجعل القرار ملكاً للغالبية المطلقة بإطلاق وبلا قيد ولا شروط ولو خالف الإسلام" .

أحـس الـنائـب العالم بأن زحفاً من التضييق عليه يشتد من جانب الحكومة ، ومن رئيس البرلمان ، ومن حزب الغالبية ؛ وافتعلت رئاسة البرلمان ثورات ضده ، واتهمته بأنه يعطل أعمال اللجان . ولكنه استمر في بذل جهوده .
فقدم العديد من الأسئلة التي لم تدرج في جداول الأعمال ، وقام بالعديد من طلبات الإحالة فوجدها قد دفنت ولم تقم لها قائمة ، ثم عاد إلى استخدام سلاح الاستجواب الذي لا يمكن رده . فاستجوب وزراء الحكومة عن ضرب الدولة للقضاء الشرعي والأوقاف، والمعاهد الدينية، ومكاتب تحفيظ القرآن الكريم، وعن ضربها لمـنــاهج التعليم في الجامعات الدينية بحجة تطويرها ، وعن ضربها للمساجد بإصــدارهـا قانوناً لا يسمح لأحد حتى ولو كان من (المشايخ) أن يدخل دور العبادة ، وأن يقول ولو على سبيل النصيحة الدينية قولاً يعارض به قراراً إدارياً أو قانوناً مستقراً ؛ ومن فعل ذلك حبس وغرم ، فإن قاوم ضوعفت الغرامة وسجن .
قدم النائب الـعـالم استجواباً إلى وزير السياحة لأن طلاباً في المدارس الفندقية أرغموا على تذوق الخمور فرفـضـوا فـفـصلوا ، وقدم استجواباً آخر إلى وزير الإعلام بغية تطهير وسائل الإعـلام مـــن العربدة التي تعصف بالقيم والأخلاق ومقدسات البلاد ، واستجواباً ثالثاً إلى وزير النقل والمواصلات عن صور القصور والتقصير بهذه المرافق ، وشعر النائب العالم أنه يقدم الاستجواب تلو الاستجواب إلى بالوعات ، فوقف في البرلمان يحاسب رئيسه ويتهمه بالخروج عـلـى لائـحـــة البرلمان ، فأمر رئيس البرلمان في لعبة مثيرة بإدراج الاستجوابات الثلاثة في جلسة واحدة مـع أن كـل استجواب يحتاج إلى أيام ، ثم دعا الهيئة البرلمانية لحزب الأغلبية لتحبط هذه الاستجوابات ، ونودي على وزير السياحة فتدخلت الحكومة التي اعترضت على إدراج هذا الاسـتـجـــواب في جـدول الأعمال لأن فيه كلمة نابية هي بالضبط (اتهام صاحب الاستجواب الوزير بأنه جافى الحقيقة أثناء رده على السؤال) ثم طـرح الـمـوقـــف عـلـــى نـواب البرلمان فقرروا إحباط الاستجواب وعطلوا ما يسمى بالحق الـدســـتــوري للنائب في محاسبة الدولة ، ثم نودي على الاستجواب الثاني المقدم لوزير الإعلام ، وكما انتصر النواب للخمر ، انتصروا للرقص رغم أنهم عاهدوا الله على النصرة لـشـريـعـتـــه ، ثـم نودي على وزير النقل لكن النواب رأوا أن محاسبة الوزير تتلاقى مع أهوائهم ، فقام النائب العالم إلى المنصة وقال لنواب البرلمان :
"يـا حـضــرات الـنـواب المحترمين لست عابد منصب ولست حريصاً على كرسي لذاته ، ولـقـد كـان شـعـاري مع أهل دائرتي "أعطني صوتك لنصلح الدنيا بالدين" وكنت أظن أنه يكفي لإدراك هـــذه الغاية أن تقدم مشروعات القوانين الإسلامية لكنه تراءى لي أن مجلسنا هـذا لا يـــرى لله حكماً إلا من خلال الأهواء الحزبية ، وهيهات أن تسمح بأن تكون كلمة الله هي العليا ..

لقد وجدت طريقي بينكم إلى هذه الغاية مسدوداً ، لذلك أعلن استقالتي من البرلمان غير آسف على عضويته" وانصرف النائب العالم إلى داره في أبريل 1981 ورفعت الجلسة.

رحل النائب العالم عن البرلمان ، ثم رحل عن هذه الدنيا كلها بعد ذلك بعدة سنوات، وبقي البرلمان يقضي ويشرع وينفذ بغير ما أنزل الله .

البيان الأدبي (شعر)

وا أُمَّتاه

د. عبد الرحمن صالح العشماوي

وصراخكم في صمتنا يتبدَّدُ   زفراتكم من حولنا تتصعَّد
لعدوِّنا وعدوِّكم نتودَّد   ذبتم على وَهَجِ الرَّصاص ولم نزلْ
وَهْمٌ كبير في الفضاء مجَّمُد   تتغيَّثون سحابَنا، وسحابَنا
بُشرى لكم، فقرارها سينَدِّد   تترقَّبون قرار مؤتمراتنا
شَجْبِ العدوِّ المستبدِّ سنصمدُ   ولسوف ينطق ناطقٌ ، أنّا على
أنَّ الأسى من أجلكم يتجدَّدُ   ولسوف يحلف حالفٌ من قومنا
عنكم مصوَّرةٌ ويُعرض مشهَدُ   ولسوف تُقْرَأُ كلَّ يومٍ نشرةٌ
فيها صريع بالتراب موسَّدُ   ولسوف تُرسَمُ لوحةٌ زيتيَّةٌ
وتُصاغ أُغنيةٌ لكم وتُردَّد   بُشرى لكم سيُقام حفلٌ ساهرٌ
واستبشروا،وعلى الكلام تعوَّدوا   هذا الذي سترون منا فافرحوا
فمحرَّم، إنَّ الجهاد تمرُّدُ أما الجهادُ لأجلكم ، بعتادنا
للظالمين ، فِفضلُها لا يُجحَدُ   ولِمَ الجهادُ ، وهيئةُ الأممِ انبرتْ
تحيي بها الأَمْنَ الذي لا يُوجد   ألقت على الصومال ألفَ قذيفةٍ
يُرغي بأوروبا هناك ويُزْبِدُ   ورمتْ إلى الصَّربِ الزِّمام فجيشهم
مالٌ وأولادٌ وعيشٌ أَرْغَدُ   أحبابَنا عفواً فغايةُ قومنا
مذمومةٌ ، من مثلنا لا تُحَمُد   أما مقاومة العدوِّ فعادةٌ
غَبَش ، تُفرِّط في الكتاب وتُلحِدُ   أنَّى تجاهد أمةٌ تحيا على
والبابُ في وجه المجاهد يُوصَدُ   سيفُ الجهاد بغمده متلفِّع
مشبوبةً وعلى الأسى أتجلَّدُ   أحبابنا إني أغالب حسرةً
عيشي يطيب ، ولا جفوني ترقدُ   نظراتُ أعينكم تعذِّبني فلا
لهبٌ ، وخاطرُها الحزين الموقدُ   تبكي سرايفوا دماً فأنينُها
نهراً ، وعالَمُنَا المخدَّر يشهَدُ   تجري دماء الأبرياء على الثرى
نفسٌ محطَّمةٌ وجَفْنٌ مُسْهَدُ   وتبيتُ مقديشو على آلامها
جهراً ، وقُدس الفاتحين تُهوَّدُ   والمسجد الأقصى يباع ويُشترى
لما يُراق دَمٌ ، ويهدم مسجدُ   أوَّاه من نار أَحسُّ بحرِّها
وسؤاله الحيرانُ ، أين المرشدُ ؟   إني لأبصر وجه طفلٍ تائهٍ

يـشـكــو ولــيــس لــه أبٌ يــتودِّد   يـبـكـي ولا أمٌّ تـكـفـكـف دمـعَــــه
وســهــام أوروبــا إلــيــه تُــســدَّد   ســرق الـنـظـام الـعـالـمـيُّ ثـيـابَه
عــصــفـــورَ أحــلام الصغير يغرِّد   وقــذائــفُ الـصِّـربِ العنيفةُ لم تَدَعْ
!أنَّـى يجيب عن السؤالِ محمَّد ؟   أيـن الـدفـاتـرُ يا محمَّد ، لم يُجِبْ
والـنـار من أنقاض داري تَصعَدُ ؟   أنَّـى أُجـيـبُ ، وفي لـسـانـي حُـبْسَـةٌ
!وأبي الحبيبُ على الرصيف مُمدَّدُ؟   أنَّى أجـيـبُ، ولـعـبـتـي مـحـروقـةٌ
!أنَّ الـجـريـمـةَ، حـَـدَّها لا يبرُد؟   أنَّـى أُجـيـبُ ، وثـوب أمــي شــاهد
!يـبـكـي عـليها ، والعدوُّ يهدِّدُ ؟   أنَّـى أُجـيـبُ ، وقُـرط أخـتي لم يزلْ
!كـسـنـابـل القمح النديَّة تُحْصَدُ ؟   أنَّـى أُجـيـبُ، ونـحـن زَرْعُ طـفـولــةٍ
!ومضى الزمانُ ، وما أزال أُشَرَّدُ ؟   أنَّـى أجـيـبُ، ومـات ألـفُ تَسـاؤُلٍ
!!رجـلٌ إلى قول الحقيقةِ يُرشدُ؟؟   مــاذا جـنـى هــذا الصغيرُ ، أما هُناَ
قلبٌ ، وليس لها على الباغي يدُ   إنـي لأسـمــع صـوت مـسـلـمـةٍ لـهـا
مـن قـومـهـا مَنْ يستجيب ويُنْجدُ   ظــلَّــت تـصـيـح وتـسـتجير فلا ترى
إن الـذي يحـمي الحمى لا يُوْجَدُ   نادتْ ونادت، فاستجاب لها الصَّدَى
وحـصـانُ مـعـتـصـم الإبـاءِ مـقـيَّد   لا تـصـرخـي ، فـصلاحُ دينك غائبٌ
سُـرُجٌ، ولـم يـقـد الـكـتـيـبةَ أحمدُ   والـخـيـلُ، خيلُ الله، لـم تُصنع لها
تـسـتـصـرخين، من العدا مستوردُ   لا تـصـرخـي. فـسـلاحُ أمـتـك الـتـي
حـفـظوا أناشيد الخضوع وأنشدوا   لا تـصـرخـي فـالحـاكـمـون بـأمـرهم
دربـاً ، لمـا حـكـم القريب الأبعدُ   يـا ويـحـهـم لـو أنهم جـعـلوا الهدى
لَـهْـو ، تقوم على الهوان وتقعَدُ   إنـــى لأبـــصــــر أمةَ الإسـلام فـي
ولــواءُ إســرائـــيـــل فـيها يُعقَـدُ   نــار الـصـلـيـب تُـشَـبُّ بـين خيامها
وغــرور أمـــريــكــا فَـمٌ يـتــوعَّدُ   ورصــاص أوروبــا مــزِّق جــسـمَــهـا
بـالـذُّل فـي دَيْر الهـوانِ تُـعـمَّـد   فــأكــاد أحــلــف أنَّ أمــتــنا غدتْ
ظـلَّـتْ بـه نـحـو الـمعالي تصعد   وكــأنّـهـا لـم تَـبْـن صـرحـاً شـامخـاً
مـا هــذه الـحـرَقُ الـتي تـتوقَّدُ   وأمـتـــاه ، وضــجَّ بـحـر تـسـاؤلي
واسـتـبـشـرت طرقي وبان المقصدُ   مــاذا دهــاك ، وأسـرجـت لي شمعةٌ
هِـمَــمٌ عــظــامٌ ، نَهْرُها لا يركدُ   ورأيـت أمـتـنـا ، وفـي تـاريخــهــا
كــانـت إذا أكْـنـَـنْــتُـها تـتهجَّدُ   لـمـا ســألــت الليل عنها، قال لـي:
كـانـت تـسـبـح ربَّـهـا وتـحـمِّـدُ   لـمـا سألـت الفجر عنها، قال لـي:
بالله ، أنَّ ظـهـورهـا لا تُـجـلَـدُ   لـمـا ســألــت الـحرب عنها أقسمتْ
لـمــا لسألت الفرْس عنها أَبْلَدُوا   لـمـا سـألـت الـروم عـنـها زمـزمـــوا
قــالــوا: لأمـتـك العُلا والسُّؤْدَدُ   لـمــا ســألــتُ مـقــوقــســاً ورجاله
صــارت إلـيـهـا، إنـها لا تُسْعِدُ   كــانـت فــوا أسـفـا على الحال التي
!بالشعر حتى ينهضَ المستعبَدُ؟   مـاذا أقـول لـهــا، أألــطــم وجـهها
!للحزن، قالوا إنّ شعرك أسودُ ؟   مـاذا أقـول: إذا رسـمــنـا لــوحــــةً
قــالــوا تُـثـيـر الغافلين وتحشُدُ   وإذا رفـعـــنـا الصوت نشكو ما جرى

ظهراً، وقالوا: العارُ أنْ تتنهَّدوا وإذا تــنـــهــدنا أداروا نــحــونــا
ذئبٌ يراقبنا، وعينٌ ترصدُ ؟؟ مــن أيـن نـخــرج، كـلُّ زاويــةً بها!
ظني، وصارت في المكارم ترصدُ؟؟ مــاذا أقـول لأمـةٍ، قــد خـيّـَبـــَتْ
طاغٍ، وإنْ كره الـمـقالةَ مُـلـحِـدُ: ســأقــول فـي وضح النهار وإن طغى
مـخـضـلَّةً، عنها سينكشف الغَدُ إنـي أرى فـي جـيـل صـحـوتنا مُنَىً
فـالـفـجـر من رحم الظلام سيُولَدُ إنـي بـرغــم الـحـزن لـسـتُ بـيائسٍ

يا أمتي(*)

محمود السيّد الدغيم

مـا لـلـمـعـارك ضـدّنـا تـتـصـعَّـدُ والـضـدُّ يـغـتـال الـمـنـى ويُـبـدِّدُ
وقـيـادةٌ حــيــرى تخـبَّــط رأيُها لـعـدونــا وعَـدُوِّهـا تَـتَـــوَدَّدُ
فـفـريـقُها مـتـشـبـثٌ بـكـبـيـرهـا وصـغـيرُها خلف الغريق مُجَمَّـدُ
تَـتَـصـنَّع الإنـصافَ مـؤتمـراتُـهـا وتُدين مـن عـادى الـعِدا وتُـنـدِّدُ
وتُهجِّر الأحرارَ عـن أوطــانــهـم وتثور في وجـه الجهاد وتصمــدُ
لـكـنَّـهـا تـرضـى بـذُلِّ وافــــد عَـبْـرَ الـفـصـول بأرضنا يتجـدَّدُ
والحقُّ مـكـسـور الجناح مُحَـطَّـمٌ في "مجلـس الأمر" المخيف مُوَسَّـدُ
يـتـحـلَّقُ الشُّـذاذُ حول فراشِــــهِ ونهـيـقُـهــم مِـنْ حـولـهِ يـتـردَّدُ
صاغوا قرارات لنفاقِ فــويـلـهـــم قد أجحفوا، وعلى النّفاق تعوَّدوا
وَدَعَـوا إلـى إلغاء كُلِّ فـضيـلـــةٍ بَـلْ كَـرَّروا "إنّ الجـهـــاد تَمَـرُّدُ"
يـا ويلهم!! ودمـاؤنـا مسـفـوحـةٌ فــي كُـلِّ أرض إنـهـا لا تُجـحَـدُ
شُفحَتْ ففي الصُّومال نهر دمائنا يَستَصْـرِخُ الحرَّ الذي لا يــوجــدُ
والصِّرب تسبح في الدماء "وبطرسٌ" يُرغي بمجلـسـهِ الرخيصُ ويُزْبِـدُ
أيـن الـعـصـا للـعـبـد؟ إن دروسَها عِـظَـةٌ وأخـــلاقٌ "وعـيـشٌ أرْغَـدُ"
أما مُمالأة الوضيع فـَخِـلَّـــــــةٌ مَمجُوجةٌ- في ديننا -لا تُحْـمَـدُ
والسَّـيْـرُ فـي رَكْبِ النِّفاقِ جريمةٌ والـرَّكب يَهزأ بالـكـتـابِ ويلحـدُ
أما الجـهـــاد فــركــبـه مـتـغيبٌ فـي السِّجن والسَّجانُ باباً يُوْصِدُ
كـيف الرقادُ وفي "السَّراي" معاركٌ بـدمـــاء أطـفـالٍ صـغـارٍ تُـوقَـــدُ
في كل بيتِ-في السراي - ضحيةٌ ظـلـمـاً، وأخـبـارُ الوقائعِ تشهـدُ
هجم الـعـدوُّ مــدمِّــراً أمجـــادنا فالقــدس-في وضح النهار-تُهَـوَّدُ
دُكَّتْ جوامِعُنا بأيدي عدوِّنــــــا فَـبَـكَـــتْ مآذنُـنا وناح المـسجـد
أطـفـالـنـا عَـبْــرَ الدروب تشرَّدوافَـقَـدُوْا خرائـطَـهـم وَضَاعَ المرشـدُ
يـبـكــون لا أمٌّ تـجــيــبُ ولا أب وَوَصِـيـُّـهـمْ لـعـدوِّهـمْ يَـتَــــوَدَّدُ
شَـرِبَ "الـنـظـام العالمـيُّ" دماءَهم وسـهـامـهُ نحـو الـقـلـوب تـسـددُ
ظُلِمَ الصِّغار وشرِّدوا وتعــذَّبـوا وعـلـى عـدوِّ الله لـم تُـرفـعْ يـــدُ
فـتـهـكـمَ الأعداءُ، قال كبيُرهـم: مَــنْ ذا صِغارَ المسلمينَ سينُجـْـدُ؟

ما للحداثة أفسدتْ أحـداثـَنــا، وشيـوخنا منهاجهمْ مُـسْـتَـوْردٌ
والحاكـمـون تحكّمــوا بشعوبهـم والشِّعرَ في مدح الأعادي أنـشـدوا
نبذوا القريبَ إلى البعيد وقرَّبــوا أعـــداءهم، قَرُبَ البعيدُ الأبعـدُ
نُـفِـيَ الـكــريـمُ وحطِّمت آماله فالـوغـد في بيت المُهَجَّرِ يقعُـدُ
والهودُ في القدسِ الشريفِ تحكَّموا راياتُـهُــمْ فـوق السوارِي تُعقَـدُ
حاخامُهُم في الشَّام صار مـنـاضلاً فَظّاً غـلـيـظاً دائـمـاً يـتـوعَّـدُ
مهــلاً؟أبا حمرا**فإن جيوشَنا صــارتْ بدير الراهابات تُعَمَّـدُ
لـكـن تـعـميـدَ الجيوشِ مؤقـتٌ وغــداً إلى قـمـم الـمـعالي تَصعـدُ
تـلـك الجيوش تَبَرَّمَتْ من قهرها غَـضَـبـاً وحُزْناً كاللـظى تَـتَـوَقـدُ
قــد أدركـت خُططَ العدو وغــدرِهِ إذ أسفَــرَ البـاغي وبان المقصـدُ
وتكـشَّـفَــتْ للنَّابهـيـن سياسةٌ هـمـجـيَّةٌ ، وسُمومُها لا تركــدُ
تغتالُ مَنْ سلكوا طريق محـمـــدٍ لـيـلاً وتـوحـي أنـهـا تَـتَـهَجَّـدُ
وتسيـرُ في درب الضَّلالة عن هوىً والسَّيرُ في درب الهوى لا يُحْمَــدُ
سلخـــتْ جلودَ المؤمنين سياطُها من غير ذنـب بالـمقامع تُـجلـدُ
ضحكتْ علـينا الرُّومُ في نَدَوَاتِهـا في الغرب والفرسُ المجوسُ تَبَلَّدُوْا
لـلـغـدر - آناء الجرائم - أسفروا عن حقدهم جهراً وغاب السُّؤدُدُ
"ورخيصُهم" تاجٌ على رأس الخنا فـلـذا الـبـريَّةُ كُلُّها لا تسْعَــدُ
أحـفـيـدُ مـن خـانوا يُحَرِّرُ أُمَةً؟ لا لَــنْ يـُحَـرِّرَ أمَّــةً مُسْتَعْبَـدُ
أقـــواله بـيـضٌ وأمّــا فِـعْلُـهُ -ضدَّ الشريعة والعروبة - أسـودُ
نــارٌ عـلى الإسلامِ بـرْد للـعـدا وجيوشُــهُ تحت البيارق تُحْشدُ
للـضّـربِ عَـوْنٌ في جميع حروبهم قَـلِـقــاً على أحوالهـم يتنهدُ
ولـذا تـراهُ كـذئـبةٍ قـطـبـيَّـــةٍ لَبَدَتْ على درب الأيائــل تَرْصدُ
وطـلائعُ الفـتح المـبـيـن تغـيَّبَتْ غَضْبـاً فـصارتْ بـالملاحم تزهدُ
فانـهـار سَـدٌّ شيدوه جدودُنـــا وتَـصَـدَّعَ الـبـاقـي فـعربَدَ مُلحدُ
فمـتى سـتـصـحـو أُمَـةٌ من نومها وتَـلَّــمُّ أشـتـاتـاً إذا هجمَ الغدُ
وتُـرَشَّـدُ الأجيالُ بعد تَخَـبُّـطٍ والرشد من بـعـد الـضـلالة يولدُ
***
يا أمـــة الإســلام ثوري واثأري لا تجزعــي إنْ أبرقوا أو أرعدوا
آسـي جراح النازفـيـن على الثرى وتـوحـدي إن الـتــوحُّـدَ أنْجد

الهوامش :

*- هذه القصيدة معارضة متواضعة لبعض أبيات القصيدة السابقة "واأمتاه" للشاعر عبد الرحمن العشماوي .

**- إبراهيم حمرا كبير حاخامات يهود سوريا في دمشق .

الجولة الأخيرة

مقطع من رواية "صقور القوقاز" التي تظهر موقف الشيخ شامل في نهاية الصراع مع الروس . - بتصرف -
انتهت حرب القرم ، وتولى القـيـصـر الكسندر الثاني العرش خلفاً لنيقولا الأول ، فقام - لإنزال الضربة الأخيرة بشامل - بإرســـال الجيـش - الذي سحبه من القرم - إلى جهة القوقاز . وقد أصدر إلى "فورونتزوف" أمره التالي :
"- اقض على جميع عشش الصقور ، وانتف أجنحة الصقور حتى لا تستطيع الطيران بعد ذلك . انتظر منكم جميعاً النشاط والهمة والغَيْرة . ولا بد لهذا العمل من نهاية" .
والواقع أن جناحاً من أجنحة حرب الاستقلال قد تحطم عند انفصال الحاج "مراد" . وقام بعض أمراء الآوار والقازاق بتغيير المكان من جـديــد واتحدوا ضد "شامل" ، ولم يكن هذا غير الملح والفلفل الذي يوضـع على هذا الجرح . وباتت وحدة الناس التي كانت بين المجاهدين وكانت مثل قلعة لا يمـكـن اختراقها ، باتت هينة لدرجة أن السيف يمكن أن يدخل بينها (..) وأثمرت بذور الشقـــاق التي سبق زرعها، وحـوصـــــر الإمام "شامل" في "داركو" حاصرته جيوش روسية ثلاثة .
انسدت كل طرق المساعدات ، وتحكم المستطلعون الروس في نظام التخابر بين الداغستانيين (...) يلعب "شامل" ومعه مجموعة من المسلمين المخلصين التفوا حوله ، ساعاتهم الأخيرة في جولتهم الأخيرة .
ضغط كلا الفريقين على قبضاتهم بـشـدة هائلة . محكوم على واحد منـهـمــا قطعاً ألا يبقى قائماً وأن يقع أرضاً . وسيكتب على أسوار مقر القيادة في "داركو" النتيجة القاطعة .
لم يكن الإمام "شامل" ينتظر أي مساعدة قط تأتيه من العالم الإسلامي كان واقـعـيــاً طوال حياته ، أدار ظهره دوماً للخيال ، وعاش يواجه الواقع والحقائق ويعيش فيها . وكـانت الحقائق مُرَّة . كان العالم الإسلامي مشغولاً للدرجة التي لا يستطيع فيها أن يساعد إخوان الـدين الذين يجاهدون في سبيل حريتهم.. كان مشغولاً وأي انشغال . نَسيَ فيه الغيـــــرة الجهاديــــة التي أمر الله بها في الـقـرآن، والتي حث الرسول - صلى الله عليه وسلم - عليها ، واسـتـبـدل هـذا العالم وِفَاقَهُ بالنفــاق واتفاقَهُ بالتفرقة. لقد ألمّ بهذا العالم سبات وخدر طارئان .
وبعد دعاء طويل ، قرأ للشاعر التركي الشيخ إبراهيم حقي الأرضرومي ، ثم خرج :

هيا نرى ماذا يـريـد المولىفكل ما قد قدَّر المولى جميل

كانت أضواء الغابات المحترقة من بعيد تنعكــس ، على وجه "شامل" ، وتجعل إنساني عينيه تلمعان . كانت هذه خطة "فورونتزوف" . كــــان يحرق كل غابات بلاد القوقاز ، وأخذت جريمته هذه تشمل الحيوانات أيضاً . كان القيصر

قد أصدر أمره التالي : "خرب عشش الصقور . وطالما أن هذه الغابات موجودة فلا بد أن يكون بالضرورة خلف كل شجرة فارس ششني أو داغستاني آخر . يتحدى بمفرده روسيـــــا حتى لو احتاج هذا الأمر إلى روحه . كان هكذا يفكر "فورونتزوف" . ولأنه يفكر هكذا كان يحرق الغابات .
لا بد أن تكون هذه اللُّهب ، لهب نيران الحرية المنبعثة مــن عـمـق القوقاز .
لكن آه! لقد بدأت نيران الروس تعمل عملها بعد أن سقطت جمرات الطمع في بعض القلوب . وإلا فهل يمكن أن يرتاح العدو في مكان تنبعث منه الغيرة الدينية؟
كم كان الظلام دامساً ، يا ربي!.. لا شيء فيه يَبين ، لا اتجاه ولا طريق . لا صديق طاهر ولا غريب . إنما مجموعة من الفدائيين ، ذاقوا أهوالاً كثيرة .
تخطوا الوحدات الروسية موجة بعد موجة ، كسروا إطاراتهم ، نجوا من ذل الأسر أسرعوا في الجري وهم يحترقون في مشعل الحرية ، وصوت "شامل" الجهوري يدوي .
"من يفكر في نهايته لن ينجح أبداً في أي وقت . إنما القوة والقدرة من الله وحده" . (...)
لم يبق في القلعة سوى ثلاثمائة شخص أغلبهم مسنون لم يعودوا بمـسـتـطـيـعـي إطــلاق الرصاص. أو أطفال لا يستطيعون الصعود إلى الأبراج . لكن فيها نساء . أخـــذت النسوة القوقازيات أمكنتهن بجوار رجالهن .
تعلمت الأيدي الناعمة الإمساك بالبنادق ومع ذلك لم يكف هذا . ورغماً عن هذا ، فقد رفض الشيخ اقتراح التسليم الثالث الذي كانت مدته حتى المساء . وأعلن قراره الحاسم بقوله :
"عدوٌّ ، كل من يمد يده إلى العدو ."

حديقة الحيوان

فيصل محمد الحجي

وَلَدي يزور حديقـةَ الحـيـــــــــوانِ	ويعود يحكي لي كوصف عـيـــانِ
ويقول : يا أبتي رأيتُ مَشَاهـــــــداً	تَدَعُ الحليمَ هـنـاك كالـحـيـــرانِ
إنّي رأيتُ الذئبَ يظهرُ بأسَـــــــهُ	فـي نـعـجـةٍ مـنهـدَّةِ الأركـــانِ
ورأيـتُ قـرداً فاسـقـاً متلـصـصـــــــاً	يرنـو إلى أُنـثى لدى الجـيـــران
ورأيـتُ ديكاً مُتْخَماً شَبَعاً ولـــــــم	يَـرْمِ الفُـتـاتَ لجارهِ الجوعـــانِ
ورأيـتُ لـيـثاً خائراً متخــــــــاذلاً	وعـريـنَـةً بـقـيـادة الـجــــرذانِ
ورأيـتُ صـقـراً غـافـلاً.. وإناثُــــــهُ	مـفـتـونـةٌ بـالـبـوم والغِربـــانِ
ورأيـتُ ثـوراً كـم يظنُّ خُـــــــوارَهُ	شَـدْواً كـشــــدوِ بـلابـل البُستانِ
ورأيـتُ دُبَّـاً كـالـكـثـيب ضخامــــةً	ويـظـنُّ قـامـتَـــهُ كـغُـصن البانِ
ورأيـت للـحـرباء ألفَ عـبـــــــاءةٍ	لِـتَـبَـدُّلِ الأحـــوالِ والأزمـانِ

والـثـعـلـبَ إلمكُار يمشي خاشعـــــــــاً مـتـظـاهـــــراً بالـزُّهد والإيـمانِ
فصرختُ : أَقْصُرُ يا بُنَيَّ ولا تَـــــزِدْ وصفـــــاً .. فتلك حديقة الإنسانِ
لَلـذِّئـب أرقـى مِن بنـي الإنسـان إنْ عاشـــــوا بغـير المنهج الربَّاني

المسلمون والعالم

المسلمون المنسيون في روسيا

د. علي عبد الرحمن عواض

مقدمة:

إن الحديث عن الجمهوريات "الإســلامـيــة" في آسيا الوسطى والتي كانت تابعة للاتحاد السوفييتي يجب أن لا ينسينا مسلمي روســيــا الذين يقطنون في القسم الأوربي من الاتحاد السوفييتي السابق ، فطبقاً لإحصاء عام 1989 إن أكثر من 60 شعباً من الشعوب القاطنة في الاتحاد الروسي هي شعوب إسلامية . تتوزع على دول مستقلة وأخرى ذات استقلال ذاتي ضمن الاتحاد الروسي ، والبقية تتوزع على دول الاتحاد الروسي الأخرى كأقليات عرقية أو على شكل قبائل مشتتة في جمهورية أو أكثر .

وفي روسيا اليوم - الوريث الشرعي للاتحاد السوفييتي - ست وعشرون جمهورية تكون بمجموعها الاتحاد الروسي ، بينها ستة ذات غالبية إسلامية بعضها يتمتع بحكم ذاتي وإمكانات اقتصادية جيدة ، وبعضها الآخر يطـالـــب بمزيد من الإصلاحات ويطمح إلى استقلالية أوسع .

تاريخ الإسلام في روسيا :

دخل الإسلام بلاد ما وراء القوقاز الشرقي (آذربيجان) وآسيا الوسطى في فترة مبكرة حيث أن الفتح الإسلامي شمل آذربيجان عام 18 هـ ، وتوغل المسلمون في داغستان عامي 22/23 هـ، وفتحوا دربند (باب الأبواب) عام 32 هـ ثم تراجعوا عنها، وأعادوا فتحها عام 38 هـ نهائياً وبهذا فتحت جميع بلاد القوقاز التي انتشر فيها الإسلام بسرعة هائلة.

وفي منتصف القرن السابع توغل الفاتحون العرب في آسيا الوسطى حيث كانت الزرداشتية والمانوية والمسيحية والنسطورية تتصارع فيما بينها فسيطروا على باكو عام 56 هـ وفتحوا بين أعوام 86 و 96 هـ كل الإقليم الواقع جنوب داريا لتتحول كل المنطقة إلى الإسلام .

وبعد أن قضى المغول على الخلافة الإسلامية خلال القرن الرابع عشر الميلادي ، واستتب لهم الأمر في مناطق شاسعة من بلاد المسلمين بدأ الإسلام ينتشر في صفوفهم بعد أن هدى الله ملكهم بركة خان للإسلام فأسلم واتخذ اسم الملك السعيد ، وقد أعطى ذلك دفعاً جديداً للإسلام أوصله حتى

القرم وسهوب روسيا الجنوبية في شمال البحر الأسود وبحر الخرز وحتى سيبيريا الغربية . وفي نهاية القرن الخامس عشر اعتنق دين الإسلام معظم البلقان والقره تشاي والكبردين والشركس الشرقيون .
وجاءت بعدها فترة التحول المعاكس ، أو التوسع الروسي المضاد حيث بدأ عام 960 هـ توسع دولة مسكوفيا لتضم إليها قازان واستراخان وسيبيريا الغربية ومع نهاية القرن السادس عشر كان الروس قد وصلوا إلى شمال القوقاز في كبارديا وبلاد الشاشان ، ولم يتوقف الزحف النصراني على المناطق التي كانت حـديـثـة الإسلام إلا بعد أن فرض المسلمون هيبتهم مع نهاية القرن وأوقفوا تقدم المسيحية في القوقاز الأوسط وبلاد الكبردين الذين بقوا فترة طويلة يترددون بين موسكو المسيحية واسطنبول المسلمة حتى آثروا الإسلام نهائياً وأصبحت كبارديا بلاداً مسلمة مع بداية القرن السابع عشر ومنها دخل الإسلام بلاد الأوسيت .
في تلك الفترة ، مع نهاية القرن السادس عشر ، انتشر الإسلام ببطء في غوربا جنوب شرق جورجيا ورضي به جزء من أهل البلاد الذين أقاموا فيما بعد دولتهم التي عرفت باسم أدجاريا وهي من الدولة المكونة للاتحاد الروسي الحالي .
وقد استمر الإسلام في التوسع والانتشار في ظل الإمبراطورية الروسية خاصة في الفترة التي حكمت فيها كاترين الثانية في المنتصف الثاني من القرن الثامن عشر حيث أنها كانت ترى في الإسلام ديناً مقبولاً وأكثر قابلية من الدين المسيحي فسـمحت للدعاة المسلمين للعمل في بلادها بحرية كاملة كذلك سمحت في عام 1188 هـ /1773 م بـبـنـاء المساجد والمدارس الإسلامية فنشطت الدعوة ، ونقلت على أيدي التجار والمبشرين بالديـــــن الحنيف إلى بشكيريا وسيبيريا الغربية وسهول قازاخ .
وأخيراً كان انتشار الإسلام في بلاد الشاشان الذين عُرفوا عبر التاريخ بتمسكهم بالإسلام وخوضهم أشرس المعارك في بلادهم الجبلية لإيقاف التوسع الروسي ولعل ثورة الإمام شامل الداغستاني من أشهر الأمثلة لهذه المواجهات ، وبعدها نقل الإسلام عام 1294هـ/1905م إلى بلاد الأنغوش .
المرحلة الأخيرة من انتشار الإسلام كانت في مطلع هذا القرن وقد استمرت هذه المرحلة عام 1324هـ /1905م حيث أعلنت الحريات الدينية في روسيا استفاد منها الإسلام استفادة واضحة وانتهت عام 1348هـ /1928م عندما تدخلت الحكومة السوفييتية وبدأت حملتها المعهودة على العلماء وكتب الإسلام ومعالمه وأفكاره وشخصياته والتي استمرت إلى وقتنا الحاضر..

المسلمون والتوزيع العرقي :

تعيش معظم الشعوب الإسلامية في مواطنها التاريخية وعلى سبيل المثال :
يعيش في تركمانيا 93% من التركمان .
وفي قبرطه بلكار 93% من القبرط و 2،82% من البلقار .

وفي داغستان 5،82% من الأفاريين ، 2،82% من القوميك ، 6،77% من اللاك ، و 8 ، 76 من الدرع.
وفي فرستاي -شركساي 83% من قرشاي ، و 9 ، 76% من الشركس .
وفي بشكيرستان 6،59% من البشكير .
والتتار هم الشعب المسلم الوحيد المشتت إذ يعيش 6،26% منهم فقط فـي تتارستان بينما تتوزع البقية على مختلف أنحاء روسيا ودول آسيا الوسطى.
بعد أن أجبـر التتر عـلـى الهرب من قسوة النظام المسكوفي إلى مناطق متفرقة .
أكـبـر القوميات الإسلامية هي القومية الكازاخاية حيث يزيد تعداد أفرادها على التسعة ملاييـن شخـص جلهــم من المسلمين وأقلها العرب الذين يقرب عددهم على الـ 10 آلاف شخص استوطنوا مناطق مختلفة منذ الدخول الأول للإسلام إلى تلك البلاد .
والقوميات المسلمة المتنوعة تنقسم في أصلها إلى مجموعات عرقية كبيرة هي :
الأتراك ، والإيرانيون وقوقازيون إيبيريون .

المسلمون وسياسة "الترويس" :

رافق الحملة الدعائية والفكرية ضد الإسلام حملة على المؤسسات الإسلامية إذ ألغيت عام 1344 هـ /1924 المـحـــاكــم الشرعية ، وكذلك محاكم للأعراف كما ألغيت عام 1348 هـ/1924م جميع المدارس الـديـنـيـة الثانوية والابتدائية والكتاتيب وكان عددها في ذلك الوقت 15000 مؤسسة . وفي عام 1350 هـ/ 1930 م تمت مصادرة آخر ممتلكات الوقف الإسلامي الذي كان يؤمن القوة الاقتصادية للدعاة المسلمين ولمؤسساتهم .
ثم كانت الحملة البشرية - وهي من الخطورة بمكان - والتي رتَّب لها الاتحاد السوفييتي وخطى فيها خطوات واسعة ، والتي كانت بمثابة الضربة القاسمة لكثير من الآمال التي كان يحلم بها أبناء الجمهوريات والـمـقـاطـعــات الإسلامية . حيث أن سياسة الاتحاد السوفييتي فرضت عملية إعادة تشكيل (ديمغرافية) للمقاطعات والدويلات الإسلامية وذلك من خلال ترتيب عمليات ترحيل قسري وطــــوعي لكثير من أبناء المقاطعات واستبدالهم بوافدين روس من مناطق مختلفة من شتى أنحاء الاتحاد السوفييتي السابق .
فقد قامت السلطات بمصادرة الملايين من الكيلومترات المربعة من ممتلكات المسلمين لتوهب للقادمين الروس ، حيث يقام لهم نظام اقتصـــادي متكامل يتوافق مع الخطة المرسومة لإبقائهم في تلك المناطق على أمل كسر الطابع الـمـمـيــــز لهذه المناطق وذلك بتزريع هذه المجمعات السكانية الهائلة في قلب مناطق القوميات الأخرى غير الروسية والجدول التالي يوضح بعض هذه النماذج :

التركيبة العرقية للجمهوريات والمناطق ذات الغالبية الإسلامية

الدولة	السكان بالآلاف*	السكان الأصليين	الروس	أقليات أخرى	نسبة المسلمين
بشكيرستان	3.943	بشكير 21.9%	39.3%	منهم تتار 28.4%	55%
شاشان/أنغوش	1.270	شاشان 57.8%	23.1%	منهم أنغوش 12.9%	75%
الأديغة	432	اديجيين 22.1%	68%	19.9%	70%
جوفاش	1.338	شوقاش 67.8%	36.7%	5.5%	70%
داغستان	1.802	داغستانيين 80.2%	9.2%	10.6%	75%
كاباردين-بلكار	754	كابادانيين 48.2%	31.9%	منهم بلكار 9.4%	70%
شركس قرتشاي	415	كاراشيين 31.2%	42.4%	منهم شركس 9.7%	70%
قاقازيا	567	قاقازيين 11.1%	79.5%	9.5%	20%
تتارستان	3.642	تتار 48.5%	43.3%	8.2%	55%

رافق هذا الغزو الروسي تفريغ لمناطق إسلامية من سكانها الأصليين وإعادة توطينهم في مناطق أخرى من روسيا .

الوضع الحالي :

إن النقص الواضح في الكتابات العربية عن مسلمي روسيا بشكل خاص يزيد من صعوبة الكتابة في هذا الموضوع من جانبين :

- الأول أن الكاتب سوف يضطر إلى استخدام المراجع الأجنبية غير الموثقة أحياناً .
- الثاني أن الكتابة المقتضبة لا تفي الموضوع غرضه وتشرح تناقضات وتداخلات الواقع المعاش في تلك البلاد والتفصيل في واقعها .

فإلى جانب الجمهوريات الإسلامية لآسيا الوسطى والتي كثر الحديث عنها في السنوات الأخيرة وهي ستة جمهوريات (أذربيجان/اوزبكستان/قازاخستان/طاجيكستان/قيرغيزيا/تركمانيا) فإن الوضع

الحالي للمسلمين في روسيا يمكن تقسيمه سياسياً إلى ثلاثة مجموعات كبيرة من الكيانات هي كالتالي :

1- الجمهوريات المستقلة ذاتياً وتضم :

* جمهورية تتاريا .
* جمهورية بشكيريا .
* جمهورية الكبردين - البلقا .
* جمهورية داغستان .
* جمهورية الشاشان - الانغوش (والتي انقسمت إلى دولتين حديثاً: الشاشان والأنغوش).

2- مناطق تتمتع باستقلال ذاتي(*) :

* منطقة الأديغة .
* منطقة القره تشاي - الشركس..

3- قوميات إسلامية ليس لها إقليم وطني، ولكنها تتمتع باستقلال ذاتي.

إلى جانبها قوميات ومجموعات عرقية لا تتمتع باستقلال ثقافي ذاتي .

1- الجمهوريات الإسلامية المستقلة ذاتياً :

من بين الجمهوريات الستة والعشرين التي تشكل الاتحاد الروسي هناك خمس منها ذات غالبية إسلامية هي :
بشكيرستان/الكبردية-البلقارية/تتارستان/داغستان/الشاشان/الأنغوش . وكذلك جمهورية أبخازيا والتي هي جزء من جورجيا حالياً .

أ- جمهورية تتاريا :

مساحتها 68000 كم 2 عدد سكانها الإجمالي 3.5 مليون نسمة حسب إحصائية 1413هـ /1992 م ، عاصمتها قازان وهي مركز صناعي مهم . وهي الإقليم المسلم الأقرب إلى موسكو حيث أنها تمثل طليعة الإسلام المتقدم في قلب روسيا . يقع هذا الإقليم في المجرى الوسط لنهر الفولغا ومعظم سكان العاصمة من الروس . والـمـعـروف أن الترر هم من القوميات التي أصابها التشتت بسبب الحروب والتهجير القصري ولا يـتـجـــاوز التتر المقيمون في هذه الجمهورية 28% من المجموع العام للتر في روسيا .

ب- جمهورية بشكيريا :

تأسست الجمهورية في 20 آذار 1919م/1318 هـ كجزء من الجـمـهـوريـات الفـيـدرالية الاشتراكية السوفييتية . تمتد مساحتها فوق 143500كم 2 وعدد سكانها يتجاوز الأربعة ملايين نسمة وعاصمتها أوفا وهي مدينة غالبيتها من الروس والتتر . تمتاز هذه الجمهورية بأن سكانها الأصليين أو البشكير هم أقلية بالنسبة للأقليات الأخرى والتوزيع الـعـرقــي كالتالي :

بشكير 2109% ، تتر 28% ، روس 3903% ، تشوفاش 302% ، ماريون 208% ، أوكرانيون 200% .
طبيعة سكان الجمهورية بشكل عام قرويون يعملون في الزراعة (80%) ، يتولى الروس معظم العمل الصناعي والوظائف الرسمية .

ب- جمهورية الكبردين - البلقار

تحتل أراضي هذه الجمهورية الجزء الأوسط من جبال القوقاز . أنشئت الجمهورية لأول مـــــــرة عام 1340هـ/1921م كمنطقة مستقلة وتحولت إلى جمهورية مستقلة عام 1356 هـ/1936 م وتحول اسمها إلى كبارديا خلال الحرب العالمية الثانية لاتهام البلقار ظلماً بالتعاون مع الألمان ، وجرت حملات أبعاد منظمة لهم إلى سيبيريا وآسيا الوسطى . ولكن في عام 1389هـ / 1968م أعيد لهم الاعتبار وأعيدوا إلى جمهوريتهم ، وعادت الجمهورية باسم الجمهورية الكبرديل - البلقارية .
مساحة الإقـلـيم تتجاور الـ 12500 كم 2 عدد سكانها يقارب المليون عاصمتها نالتشيق ، ويقطـنـهــا ثلث سكان البلاد وهم يتألفون من عرقيتين أصليين . الكردين (وهم الشركس الشرقيون) والبلقار (الأتراك) .

في جمهورية داغستان :

كغيرها من الـعـديـد مـن جمهورية الاتحاد الروسي فإن جمهورية داغستان تأسست عام 1340 هـ /1921 م ، تبلغ مساحتها 50300كم 2 ، وعدد سكانها يقارب المليونين نسمة يقطن المدن منها 30% والـبـاقــي قرويون . نسبة المسلمين في هذه الجمهورية 85.3% من المجموع العام . عاصمتها مخـتــش -قلعة . يمثل الداغستانيون 78% من مسلمي البلاد يليهم الأذاريون ثم الشاشان .
حتى الثورة البلشيفية كانت الـعـربـيــــة هي لغة الأدب في داغستان وكانت ايضاً اللغة الرسمية لمنطقة شامل. وفي العام 1347 هـ/1928م أبعدت الحكومة الروسية اللغة العربية لما لها من طابع ديني ، وحلت محلها الـلـغــــة الروسية للتعامل الرسمي والآذارية كلغة شعبية والغالبية العظمى من السكان من أهل السنّة وتتبع المذهب الشافعي كما تنتشر بينهم الطرق الصوفية خاصة النقشبندية والقادرية .
تعاني هذه الجمهورية كغيرها من جمهوريات الاتحاد الروسي من وضع اقتصادي سيء ونقص في المؤسسات والكليات الشرعية .
من الأحزاب ذات الطابع الإسلامي في هذا البلد حزب النهضة الإسلامي ، الحزب الديموقراطي الإسلامي وجماعة المسلمين (صوفيين) .

د- الجمهورية الشاشانية-الإنغوشية :

تألفت هذه الجمهورية عام 1354هـ/1934م (وذلك بـتـوحـيـد جمهوريتي الشاشان التي تألفت عام 1341 هـ/1922م "وجمهورية الانغوش التي

تألفـــت عام 1924) وأصبحت جمهورية مستقلة عام : 1356هـ/1936م . عام 1364 هـ/1944م طرد من ديارهم جميع السكان الأنغوش والشاشان إلى سيبيريا وآسيا الوسطى في ظروف صعبة أدت إلى موت أرقام كبيرة منهم أثناء عملية الترحيل . ومن ثم قسمت أراضيهم بين جمهوريات أخرى مجاورة وجورجيا . وبعد موت ستالين أعيد الشاشان والأنغوش إلى بلادهم وأعيد إنشاء الجمهورية واستعاد أبناؤها اعتبارهم .

يزيد عدد سكان الجمهورية على 1300 مليون يعيشون على مساحة تغطي 19300 كم 2 عاصمتها غروزني ومعظم سكانها حالياً من الروس .

وكلتا العرقيتين الأنغوش والشاشان قرويون جبليون يعانون من أوضاع اقتصادية صعبة . قبل الثورة كانت لغة البلاد الشائعة هي العربية وتحولت مع سياسة الترويس إلى اللغة الروسية عام 1359 هـ/1939م.

دخل الإسلام هذه البلاد في وقت متأخر (القرن الثامن عشر) ومن الراجــح أنه دخل عبر بخارى وداغستان وشيرفان الذين قادوا الحرب ضد الغازي الروسي .

أعلن استقلال الجمهورية عام 1412هـ / 1991م ، وتعاني البلاد من أوضاع سياسية غير مستقلة كنتيجة للرغبة في التغيير من قبل الإصلاحيين والتي تـواجــــه بمعارضة منظمة مدعومة من شيوعيي البلاد ، ومدعومين من الحكومة المركزية في موسكو .

هـ - أبخازيا :

تمتد أبخازيا على الشواطئ الشمالية الشرقية للبحر الأسود على مساحة تبلغ 8600 كم2 عاصمتها ساخومي وعدد سكانها مئة وخمسون ألفاً معظمهم من الأبخاز (أو الأباض كما هي التسمية الحقيقية في تلك البلاد) . معظم الأبخاز (الأباض) يعيشون في تركيا إذ أن 70% من السكان كانوا قد هجروا ونزحوا عام 1310هـ/1864م وعندما تعرضوا لغزو بشري منظم وتحولت البلاد إلى خليط من الروس والجورجيين والأرمن والروم مما أوصل نسبة السكان الأصليين من الأبخاز إلى 17% من السكان .

اعتبرت أبخازيا جمهورية سوفييتية بعد الثورة الشيوعية عام 1336هـ/1917م ولـكــــن ستالين ألحقها بموطنه جورجيا عندما استلم الحكم . وكانت بدايات المحاولات الوطنية للتغيير عام 1406هـ/1985م عندما قامت مظاهرات من الأبخاز مطالبة باستقلال بلادهم وانفصالها عن جورجيا ، ولكن جورجيا واجهت ذلك بقمع شديد سقط ضحيته العديد من القتلى وألغيت الحريات وعطل العمل بدستور البلاد الذي يميزها عن جورجيا والذي كان مـعـمـولاً به منذ العام 1340هـ/1921م ولكن السلطات في جورجيا ضمت البلاد بكاملها لجورجيا وألغت الدستور .

وتكرر الوضع عندما قرر مثقفوا وقادة البلاد اعتبار أبخازيا جمهورية سوفييتية مستقلة والعودة إلى دستور 1340هـ/1921م فكان رد فعل الجورجيين أن

تصدوا للمظاهرات بشكل دموي ذهب ضحيته عشرات الأشخاص. ولكن الوضع العسكري تفجر يوم 14 أغسطس (آب) 1413هـ/1992م عندما دخـلــت قوات مجلس الدولة الجورجي أبخازيا بحجة حراسة سكة الحديد ومكافحة الإرهاب والبحث عن الرئيس الجورجي الهارب فدخلت العاصمة الأبخازية دون إذن من سـلـطــات أبخازيا . لكن الكميات الهائلة من الجنود الجورجيين كانت كافية للسيطرة على البلاد واحتلال معظم أراضيها ويحاول شفرنادزه تسليح الجورجيين الذين يسكنون أبخازيا للتصدي للأبخاز الذين ينادون بالانفصال عن جورجيا وينادون بالاستقلال .

ومع أن الإبخاز أقلية في بلدهم بسبب سياسة التهجير الستالينية ولكنهم يتمتعون برصيد تاريخي بحقهم في البلاد يعترف لهم به غيرهم من أقليات البلاد . ولهذا فإن من بين عدد نواب البرلمان الأبخازي (28 مقعداً) للأبخاز بينما توزعت المقاعد الأخرى كالتالي : 26 للجورجيين ، 5 مقاعد للروم ، 5 للأرمن ، مقعد للأروام .

الوضع الحالي هو أن المعارك لا تزال مستمرة بين قوات الاحتلال التي تسيطر على مناطق تكفاتيتلي ، غال ، تسمتشيرا ، ساخوم ، في محاولة لاستعادة حرية هذه المناطق والمنطقة مقطوعة عن بقية العالم الإسلامي إلا من بـعــض الـمــدد الذي يقدمه مسلمو القوقاز من متطوعين وبعض العتاد . وقد أعلن الرئيس الجورجي الأحكام العرفية في البلاد أوائل شهر (يوليو) 1414هـ/1993م ولمدة شهرين فاتحاً البلاد إلى حرب مفتوحة . وقد قامت رابطة شعوب القوقاز التي تضم القوميات القاطنة جنوب روسـيــا بإعلان التعبئة العامة لنجدة الأبخازيين سيما وأنه تربطهم بهم رابطة دينية وامتدادات عرقية وتاريخ مشترك.

2- المناطق المستقلة ذاتياً :

إلى جانب الجمهوريات المستقلة ضمن اتحاد روسيا فإن هـنــاك خـمــس مناطق تتمتع باستقلال ذاتي بينها اثنتين ذات غالبية إسلامية وهي : منطقة الأديغة ومنطقة القره تشاي -الشركس . وهذه المناطق تستخدم لغاتها القومية إلى جانب الروسية ولا يمكنها الانفصال عن الاتحاد الروسي .

منطقة الأديغة :

وهذه المنطقة تشكلت عام 1341هـ /1922م باسم منطقة الأديغة الشركس المستقلة . وتحول اسمها إلى الأديغة عام 1356هـ/1936م ، مساحتها 7600 كم^2 وعدد سكانها يتجاوز النصف مليون نسبة المسلمين بينهم 70% من مجمل السكان ، عاصمتها ما يكوب معظم سكانها من الروس . والأديغة الأصليون هم من أهل السنة يتبعون المذهب الحنفي ، وهم جزء من الأمة الشركسية . والمعروف أن أكثر من 70% من الأديغيين هاجروا إلى الإمبراطورية العثمانية عندما غزت روسيا القيصرية القوقاز الشمالي ، وكانت

اللغة العربية هي لغة الادب حتى العام 1337هـ/1981م واستبدلت رسمياً عام 1356هـ/1936م باللغة الروسية .

منطقة القرة تشاي - الشركس :

تشكلت هذه المنطقة عام 1341هـ/1922م وانقسمت عام 1354هـ/1926م إلـى منطقـتـيـن مستقلتين ذاتياً: منطقة القره تشاي المستقلة ذاتياً ، ومقاطعة الشركس القومية . وعادت إلى الاتحاد عام 1347هـ/1928م واتخذت اسمها الراهن . تم ترحيل قسري للقره تشاي عام 1346هـ /1944م ثم أعيد البعض إليها عام 1398 هـ/1957م بعد اتهامهم ظلماً بالتعاون مع الألمان وإبادة أعداد كبيرة منهم ونفي الجزء الآخر .

مساحة الإقليم 14100 كم^2 وعدد سكانه حوالي النصف مليون نسمة عاصمتها شركس وغالبية سكانها من الروس .

3- أقليات وقوميات إسلامية أخرى:

كـمـا يـتــوزع في أنحاء مختلفة في الاتحاد الروسي مجموعة من القوميات التي لا تتمتع باستقلالية ضمن إطار وطني ولكنها تتمتع بنوع من الاستقلال الثقافي الإقليمي إذ تستخدم هذه القومـيات لغاتها المكتوبة ، ولها مؤسساتها التربوية والعلمية وصحافتها ومسارحها ومعاهدها الخاصة بالبحث ، وهناك أربع قوميات إسلامية تتمتع بهذه الخصائص اثنتان منها هاجــــرت من الصين وهي :

الويغور المسلمين ويبلغ تعدادهم 250 ألف نسمة وهم امتداد لنفس العرق في الصين حيث يبلغ تعدادهم 8 ملايين نسمة .

والدنغان : وهم مسلمون على المذهب الحنفي هربوا من الصين عام 1291هـ / 1877م بعد فشل ثورة المسلمين في الصين ضد السلالة المنشورية .

الأكراد : ويبلغ تعدادهم حوالي 125 ألف نسمة جاؤوا على شكل موجات من المهاجرين على فترات زمنية متباعدة من إيران والعراق وتركيا اثر مشاكلهم مع الحكومات في تلك البلاد .

تتر القرم: وكان لهم حتى عام 1364هـ/1944 إقليم خاص بهم له استقلالية ذاتية ولكنهم عوملوا كإخوانهم الأنغوش والشاشان عندما اتهموا بالتعاون مع الألمان وشتتوا على أيدي ستالين فـي سيبيريا وقـازاخستان وتذكر المصادر أن أعداد كبيرة منهم قضت خلال فترة التشريد وقد ألغيت جمهوريتهم نهائياً وألحقت المنطقة بأوكرانيا .

وإلى جانب هذه المجموعات العرقية هناك قوميات وعرقيات إسلامية عديدة لا تتمتع بأي استقلال أو تميز ثقافي أو اجتماعي وقد عمل على دمجهم في الإطار الروسي الأوسع لإذابة شخصيتهم المميزة ومنهم :

البلوش/الأيروني/الأتراك/وعرب آسيا الوسطى . كما أن الإسلام ينتشر بين أعراق وقوميات بشكل جزئي حيث أن الـبـعـض اعـتـنــق الإسلام بينما بقيت

المجموعات الأخرى على ديانات إما نصرانية أو وثنية منهم : الأرمن المسلمون/التات المسلمون/الغجر المسلمون..

كلمة أخيرة :

لعل الاستعراض السريع لأحوال مسلمي هـــذه المناطق يلفت الانتباه إلى الوضع المأساوي الذي تعيشه معظم هذه الدول والأقليات ضمن إطارها الروسي - النصراني الواسع .

وقد نستخلص من أهم المشاكل التي يشترك فيها معظم مسلمي هذه المناطق:

- الأوضاع الاقتصادية السيئة التي تؤثر سلباً على إثبات أنفسهم وإصلاح واقعهم .
- الأوضاع السياسية حيث أن معظم هذه الـمـناطق تحكم من قبل شيوعيين يتسمون بأسماء إسلامية .
- الجهل بالدين والبعد عنه حيث أن سنوات الشـيـوعـيــة الـطـــوال أنتجت أجيالاً من المسلمين الذين لا يعرفون عن دينهم إلا الاسم .
- انتشار الخرافات والبدع بينهم . مما يزيد من أهمية وضرورة العـمـــل عـلـى نشر العلم الشرعي الصحيح بين أبناء هذه الطوائف .
- سارعت الكنيسة لاحتضان النصارى من تركة الاتحاد السوفييتي ، وهي تعمل جاهدة في بلاد المسلمين ومناطقهم . والمؤسسات الإسلامية الخيرية والدعوية مدعوة للمشاركة في احتضان ومساعدة وتعليم المسلمين المنسيين في روسيا .

الهوامش:

*- إحصاء عام 1992 .

*- أنظر حاضر العالم الإسلامي للدكتور جميل المصري ، المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفييتي تأليف الكسندر بينغسن وشانتال لوميرية كيلكجاي ترجمة عبد القادر ضللي دار الفكر المعاصر ، بيروت لبنان 1989.

تفليس عاصمة جورجيا

محمود السيد الدغيم

تـضـم جـمـهـوريــة جـورجـيــا، جمهوريتان هما جمهورية ابخازيا ذات الحكم الذاتي، وعاصمتها سوخومي(*) ، وجمـهـوريــة آجــاريـــا ذات الحكم الذاتي أيضاً ، وعاصمتها باطوم(**) ، وعدد سكانها "82000" نسمة، كما تـضــم مـقـاطعة أوسيتيا الجنوبية ذات الحكم الذاتي، وكان عدد سكان جورجيا بما تضمه من أبخازيا وآجاريا وأوسيتيا، يساوي 4 ملايين نسـمـــة أكـثـــر مـــن ثلاثة أخماسهم من الجورجيين ، وبقية السكان من الروس والأوكرانيين.

والأرمن وغيرهم مــــن الشعوب"(1) ولم يشر المؤلف إلى الشعوب الأخرى وهم الترك والآذريون والأبخاز والشركس لأنهم من المسلمين .
لا أحد يستطيع معرفة مستقبل جـورجـيــا هل ستستمر العواصم الثلاث - تفليس وباطوم وسوخومي - في الاتحاد ، أم ستنفصل العـاصمتان الأخيرتان عن جورجيا ، ولا سيما أن الجالية الإسلامية قد عانت القهر المر على أيدي شيوعي الاتحاد السوفييتي المنهار .

تفليس (عاصمة جورجيا) :

يحتل اسم مدينة تفليس مكاناً مرموقاً في وسائل الإعلام بسبب ما تتعرض له من كوارث الحرب الداخلية ، واستعمال وسائل الإعلام لاسم هذه المدينة العريقة متفاوت الصحة ، فبعض وسائل الإعلام تذكرها بصورة صحيحة ، وبعضها يترجم اسم تفليس دون تعريب ، ودون عودة إلى المراجع العربية الصحيحة فيكتبها "تبليسي" ، ونظراً للهوة الفاصلة بين المواطن العربي وتراثه فقد أصبحت تفليس في عداد المدن المنسية ؛ شأنها شأن الكثير من المدن التي اشتهرت عبر تاريخها ، ثم خـبــا ذكرها مع تراجعنا عنها ، حتى أصبحت مجهولة من قِبَلِ قطاع عريض من قراء لغتنا العربية ، وأصبح واجبنا - إزاء ذلك - أن نعرف بها وبماضيها وبعلاقتها بأمتنا عَبْرَ التاريخ .
تعرف هذه المدينة باسم تبليسي (Tiblisi) في لغة الكُرْج وبعض المراجع اللاتينية تذكرها باسم تفليسي (Tphilsi) أما المراجع والمصادر العربية فتذكرها باسم : تفليس(***) ، ما عدا البلاذري أحمد بن يحيى ، المتوفى سـنـة 279 هـ فقد ذكرها في كتابه فتوح البلدان باسم "طفليس" بالطاء وليس بالتاء، وسبب التسمية: ينابيع تفليس الحارة ، فمعنى حار؛ في لغة الكُرْج : تفيلي (Tphili) ، أما الأرمن فيطلقوا عليها اسم : تفخيس (Tpkhis) .

النسبة إلى تفليس :

"التفليسي : نسبة إلى تفليس ، وهي آخر بلدة من بلاد أذربيجان ، مما يلي الثغر ، خرج منها جماعة من العلماء والمُحَدِّثين ، منهم : أبـو بـكـــــر محمد بن إسماعيل بن بنون بن السري التفليسي (400 - 483 هـ).. وأبو أحمد حامد بـن يوســف بن أحمد بن الحسين التفليسي ، من أهل تفليس.. وكانت وفاته بعد سنة 484هـ ، ومحمد بن بيان بن حمران المدائني التفليسي ، أصله من تفليس.. وعبد الله بن حماد التفليسي (2)..
وذكر الذهبي ، في سير أعلام النبلاء ، نجم الدين ثابت بن تاوان التفليسي المتوفى سنة 631 هـ (3) . كما ذكر محمد بن اسماعيل السري التفليسي ، المتوفى سنة 483 هـ(4) ، وأسند الذهبي رواية للناتاني تفيد أن الإمام علي بن عبد الرحمن ابن عَلِيَّك النيسابوري ، قَدِمَ تفليس وحدث عن الخفاف ، وتوفي في تفليس سنة 468 هـ(5) والناتاني التفليسي هو أحمد بن عمر بن

محمد بن ناتان ، سمع منه شيخ الإسلام أبو طاهر السِّلَفِيَّ (475 هـ -576 هـ) في تفليس سنة 500 هـ(6) .
تفيد القوائم الإحصائية،أن عدد سكان تفليس قد بلغ سنة 1341هـ/1922م، 958.233 نسمة ، منهم 85.309 من الأرمن ، و 80.884 من الكُرج ، و 38.612 من الروس، و9.768 من اليهود، و 3.984 من الفرس، و 3.255 من الترك الآذربيجانية ، و 2.457 من الألمان وغيرهم .
توضح لنا الإحصائيات السابقة أن سكان تفليس ينتمون إلى عدة قوميات ، وهذه نتيجة ما تعاقب على حكمها من الشعوب ، ولا شك أن بعض سكانها من أصل عربي امتزج بالفرس والترك عبر مسيرة الزمن .
ذكر الطبري ، في تاريخه أن تفليس قد فتحت سنة 22 هـ على يد حبيب بن مسلمة - رضي الله عنه - وذلك بعد فتح باب الأبواب على يد سراقة بن عمرو ، في زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-(7) . وذكر الطبري(8) كتاب الأمان الذي كتبه حبيب ابن مسلمة إلى أهل تفليس ، وقد عَينَّ حبيبٌ الفقيهَ عبد الرحمن بن جزء ؛ ليعلم أهالي تفليس أصول الدين الإسلامي ، وأقدم درهم أموي ضرب في تفليس سنة 85 هـ في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ، وقد استمرت دارُ سَكِّ الدراهم في تفليس لغاية سنة 310 هـ . واستمرت الإمارة الأموية في تفليس لغاية سنة 238 هـ حيث قضى عليها "بُغًّا" التركي - ومعنى بغا التركية : ثور باللغة العربية - وكان ذلك أيام المتوكل العباسي (232- 247 هـ) (9) وإثر ذلك بدأت سيطرة العرب بالتراجع(10) وبدأ تاريخ الصراع الطويل بين المسلمين العرب والترك من جهة ، والكُرْج والأرمن من جهة أخرى ، حيث سيطرت الإمارة الساجية على أذربيجان وتفليس (276-317هـ) ولكن الكُرْج اجتاحوها سنة 421 هـ ، ثم هاجمها آلب أرسلان السلجوقي (455-471 هـ) فشتت شمل الكُرْج ، وأخضع تفليس لسيطرته.
حاصر الكُرْج مدينة تفليس ، واشتد قتالهم لمن بها وتفاقم الخطب وعظم الأمر على أهلها، ودام الحـصـار إلى سنة (515 هـ) فملكوها عُنْوَةً ، وكان أهلها لما أشرفوا على الهلاك قد أرسلوا قاضيهــا وخطيبها إلى الكُرج في طلب الأمان ، فلم تُصغِ الكُرج إليهما ، فأخرقوا بهما ، ودخلوا البلد قهراً ، وغلبة ، واستباحوه ، ونهبوه ، ووصل المستنفرون منهم إلى بـغـــــداد مستصرخين ومستنصرين سنة 516 هـ ، فبلغهم أن السلطان محموداً بهمذان، فقصدوه ، واستغاثوا به ، فسار إلى أذربيجان ، وأقام بمدينة تبريز شهر رمضان ، وأنفذ عسكراً إلى الكرج.."(11) .
وفي سنة 788 هـ داهم تيمورلنك بلاد الكُرج ، واحتل تفليس ، وخرب البلاد سنة 803 هـ وأقام في تفليس حامية خراسانية ، ثم استمرت المناوشات ، فأعاد تيمور الكرة على تفليس "وضرب جميع أديرتها وكنائسها وذهب سنة 805 - 806 هـ (12) ، وفي عام844 هـ استولى الشاه جهان القراقيون لي

(جهان شاه) (841-872هـ) على تفليس ، وطرد الكُرج منها ، ثم غزا أوزون حسن (حسن الطويل) الآق قويون لي (الغنام الأبيض) بلاد الكرج سنة 871 هـ وحرر الأسرى المسلمين ، وترك حامية في تفليس ، بقيادة صوفي خليل بك . واستولى العثمانيون على بلاد الكُرج فترة (986-1012هـ/1579-1603 هـ) واستولوا على تفليس، وولي عليها محمد بن فرحاد باشا (فرحات باشا)(13) ، ثم استعاد الشاه عباس الأول مـديـنـة تفليس من العثمانيين سنة 1012هـ/ 1603م وسيطر على بلاد الكُرج فقتل منهم سنة 1025هـ حوالي "70.000" ثم قتل منهم حوالي 10.000 سنة 1033هـ ، وبعد ذلك سيطر كيخسرو (رستم) على تفليس (1043هـ) . ثم آلت مقاليد الحكم إلى جيورجي الحادي عـشــر سنة 1099هـ وخلفه أريكله الأول (Ereklei) (1102 -1099هـ) فأسلم وأصبح يعرف باسم : نظر علي خان .
توفي الملك أريكله الكهل سنة 1212هـ/1798م وخلفه ابنه جيورجي الثاني عشر ، فأعلن تبعيته لقيصر روسيا ، وأصدر بطرس الأول فرماناً بضم بلاد الكُرج إلى روسيا سنة 1214هـ /1800م وأعلن الضم في 27 رجب 1081هـ/ 11 يناير 1801م ، وتخلى الفرس عن المطالبة ببلاد الكُرج مـنـذ سـنــــة 1228هـ /1813م ، وفي سنة 1336هـ/1918م أصبحت تفليس عاصمة جورجيا السوفييتية، وفـي 16 جـمــادى الأولى سنة 1339هـ/26 يناير 1921م اعترف الحلفاء بالكُرج .
وبعد انهيار الاتحاد السوفييتي ، استيقظت النزعات القومية بعد أن عانت من الكبت الشيوعي كثيراً ، وراحت كل قومية تعمل من أجل بناء دولتها ، وجورجيا كغيرها من دول الاتحاد المنهار ، تعاني من التعددية القومية ، والتعددية الدينية والمذهبية حيث تضم ثلاث جمهوريات ومقاطعة مستقلة ، تحتوي على عدة شعوب منهم الكُرج والأرمن ومنهم الفرس والترك والآذربيجانيون ، وهذا هو السبب الذي يدفع هذه الجمهورية إلى حرب أهلية ستسفر عن ثلاث جمهوريات أو أكثر ، وقد أعلنت مقاطعة أوستيتا الجنوبية استقلالها لتنضم إلى أوستيتا الشمالية ، وهـــذه فـاتحة التمزق بالإضافة إلى حروب رئيس الوزراء السابق "زفياد غمسا خورديا" وحروب الأبخاز التي ما زالت مستمرة .

الهوامش :

*- يخوض الأبخاز حرباً ضارية في سبيل الاستقلال عن الكُرْج الجورجيون .
**- كانت باطوم تابعة للخلافة الإسلامية العثمانية ، احتلتها الحكومة الروسية ونشرت إعلاناً لسكان باطوم في شهر آب سنة 1880 م نذكر منه ما يلي :
1- إن الدين الإسلامى يبقى محترماً والانتقام ممنوع منعاً كلياً ولا يسوغ لأحد أن يمس عرض نساء الترك ولا أن تنتهك حرمتهن فإن قوانين الروسية تنهى عن ذلك وكذلك القرآن يأمر الرجال من المسلمين أن يحترموا أزواجهم .

2- إذا وقع نزاع بين المسلمين يكون فصله بموجب الشريعة الإسلامية كما كان أيام الترك.
3- لا يزاد شيء في الضرائب والعوائد ولكن عوضاً عن أداء الأعشار تجعل ضريبة معلومة ويحصل بالتساوي بين الغني والفقير وبالجملة فان الضرائب تكون أخف مما كانت في أيام الترك بل يكون الفقراء مستثنين من ذلك .
4- حقوق التمتع في المعابر تبقى كما كانت .
5- دولة الروسية لا تأخذ من الأهالي أحداً للخدمة العسكرية كما هي العادة في "القوقاز" و"كرجستان" ولكن ترتب جنوداً محلية للمحافظة على الحدود ويكون لهم مرتب شهري ولا يخفى أنه من الواجب على كل من أبناء الوطن أن يحافظوا على بلادهم لدفع تسلط العدو فيلزم لأهل باطوم أن يعتبروا هذا الأمر حق الاعتبار .
6- يلزم إنشاء مدراس تتعلق بالجوامع كما كانت في أيام الترك ودولة الروسية تساعدها على إنشائها من دون أن لكون لها حق في استعمالها .
7- يكون لكل أحد حق في أن يهاجر إلى تركيا إلى غاية المدة التي قررتها معاهدة برلين وأن يبيع كل ما يريد بيعه ما عدا الأراضي وبعد مضي المدة المذكورة يمكن له أيضاً أن يهاجر ولكن يلزمه الحصول على تذكرة المرور (باسبورط) .
8- المسلمون الذين يظهرون حسن السيرة والسريرة يوظفون في الوظائف العادية ، وفضلاً عن ذلك يوظفون أيضاً في الوظائف الإدارية ، وفي رتبة قائم المقام .
"نقلاً عن مختارات الجوائب 7/245"
(1) جغرافية الاتحاد السوفييتي ، ص 313 .
*** انظر معجم البلدان لياقوت الحموي . مادة : تفليس .
(2) الأنساب ، للإمام السمعاني ، المتوفي سنة 562 هـ /1166 م، مادة التفليسي،1/471 - 472 .
(3) 22 / 367.
(4) 19/11، الترجمة 6 .
(5) سير أعلام النبلاء 18/299 .
(6) سير أعلام النبلاء 21/13 و ص 24.
(7) تاريخ الطبري ، 3/235 - 236 .
(8) 3/241 .
(9) تاريخ الطبري ، 9/139 وابن كثير 10/317 .
(10) تاريخ المسعودي 2/67 .
(11) الكامل لابن الأثير 11/399 ، طبعة بريل 1864 م. وسير أعلام النبلاء للذهبي 19/453 .

(12) دائرة المعارف الإسلامية ، 9/452 (يجب الانتباه إلى مغالطات دائرة المعارف الإسلامية) .
(13) تاريخ الدولة العلية العثمانية 261-266 .

بلاد الطاغستان والشيخ شامل(*)

"يا شامل! جياد غريبة تشرب من ينابيعنا،
وأناس غرباء يطفئون قناديلنا فهل تمتـــطي
وحدك صهوة جوادك أو نساعدك على ذلك" .
شاعر من داغستان

عـلــى الـضـفــة الـغـربـيـة من بحر الخرز بين 43و41 من العرض الشمالي بلاد يقال لها طاغستان(**) ، مساحتها نحو 297630كم2 وعدد نفوسها سبعمائة ألف ، أما إذا انضم إليها جميع بلاد القوقاس الـشـمـالـية فيقال أن أهلها يبلغون مليونين إلى ثلاثة . وقد فتح العرب في خلافة هشام بن عبد الملك الـطـاغـسـتــان سنة 105 للهجرة ووطد أخوه مسلمة الحكم العربي في تلك الديار ، وكانوا يلقبونها بالـدربـنـد ، وكانت ثغراً من ثغور العرب ومنها انتشر الإسلام في تلك الأقطار ، وكان الأهالي من قبل وثنيين ونصارى ويهوداً .

ولما اجتاح المغول بلدانهم كان أكثر هؤلاء صاروا مسلمين، ولـما كانت غارة تمرلنك (سنة 1359م) كان أشهر شعوب الطاغستان قبيلتين أحدهما القايتاق، والآخر القومق ويقال لهم: غازى قومق . وأكثر أشراف الطاغستان يدّعون أنهم من أصل عربي وأن آباءهم قدموا مــع مسلمة بن عبد الملك بن مروان. وقد صادفت في الروسية بعض أشراف الطاغستان فقالوا لي: أن أصـلـهـم من العرب يوم فتحوا الدربند وهم يفتخرون بذلك . وقـــد طـمـــع الروس في الاستيلاء على الطاغستان منذ أواخر القرن السادس عشر للمسيح فلم يفلحوا وهزمهم أولاد الشامكال وأخرجوهم من بلاد سولاك التي كانوا احتلوها ، ثم سنة 1604 م كروا ثانية على الطاغستان وقصدوا بلدة طاركهو فلم يفوزوا بطائل .

وفي سنة (1722م) ساق بطرس الأكبر جيشاً استولى الدربند وسائر سواحل الخزر الغربية إلا أن نادر شاه صاحب فارس غزا هذه البلاد واسترجع أكثرها من أيدي الروس (1735 م) وزحف تتر القريم التابعون للدولة العثمانية على الطاغستان في تلك الأثناء ففشلوا ؛ وبقي الحكم هناك للعجم لكن المملكة الفارسية بعد نادر شاه تضعضع أمرها ، فتقلص ظلها عن الطاغستان وزحف الروس ثانية فاجتاحوا البلاد سنة 1755 وفي سنة 1784 خضع لهم الشامكال مرتضى علي وبعد ذلك استولوا على القوقاس،فتمكنت قدمهم في الطاغستان.

ولما تخلى الترك من جهة والفرس من جهة عن الطاغستان ، عقد أمراء البلاد محالفة فيما بينهم على مناهضة الروس فاشتبك القتال بين الفريقين ، وتجشمت الروسية كلفاً عظيمة إلى أن تمكنت من تدويخ البلاد فألغت لقب العصمى من أمراء قايتاق (1819) ولقب المعصوم أمير تبازاران (1828) وجعلت لدى الأمراء الباقين ضباطاً روسيين يأخذون على أيديهم ، فاستسلموا جميعاً للحكومة الروسية ، فثار الشعب على الروس وعلى الأمراء وتولى أمر الثورة علماؤهم وشيوخ الطريقة النقشبندية المنتشرة هناك ؛ وطلبوا أن تكون المعاملات وفقاً لأصـــول الشريعة لا للعادات القديمة الباقية من جاهلية أولئك الأقوام ؛ وكان زعيم تلك الحركة غازي محمد الذي يلقبه الروس بقاضي ملا ، وكان من العلماء المتبحرين في العلوم العربيــة ؛ وله تأليف في وجوب نبذ تلك العادات القديمة المخالفة للشرع اسمه "إقامة البرهان على ارتداد عرفاء طاغتسان" .
وفي 29 تشرين الأول سنة 1832 م بعد جهاد طويل أحيط بغازي محمد في قرية جيمري ، واستشهد في معمعة القتال - رحمه الله - ، فخلفه حمزة بك الذي استشهد أيضاً - رحمه الله - بقرب غنزاق بعد ذلك بسنتين ، فتولى زعامة الثورة الشيخ شامل افندي - المقصود بهذه الترجمة - الذي خرج من المشيخة إلى الأمارة ، وتناول السيف من طريق القلم . ولم يكن الشيــخ شــامــل في سعة علم سلفيه ولكنه كان أحسن منهم إدارة للأمور ، وبصيرة بالحروب ، فشمر عن ساق الجهاد والْتَفَّ ذلك الشعب الأبي من حوله ، فذب عن حوض ملته نحو 35 سنة ظفر فيها بالروس وفي وقائع عديدة وألقى الرعب في قلوبهم . وجلاهم عن جميع البلاد إلا في بعض مواقع ثبتوا فيها في الناحية الجنوبية وكانت أعظم الدبرات التي والاها عليهم هي في سنتي 1834 و 1844 حيث افتتح جميع الحصون التي كانت لهم في الجبال وغنم منها 35 مدفعاً وأعتاداً حربية ومؤناً وافرة ، وأخذ عدداً كبيراً من الأسرى ، فجردت الروسية بعظمة ملكها وسلطانها جيوشاً جرارة ونادت هي بالجهاد في الطاغستان. ونظم شعراء الروس القصائد في وصف تلك الحروب ؛ وما زالت توالي الزحوف حتى تمكنت من البلاد ولكن بقي الشيخ شامل عشر سنوات يناوشها القتال في الجبهات الغربية من الجبال ولم يُسَلِّم هذا المجاهد العظيم للروس إلا في 6 أيلول سنة 1859م فعمد الروس على أثر تسلميه إلى إعادة سلطة الأمراء ، ولكن لما استتب لهم الأمر بواسطة هؤلاء الأمراء عادوا فخلعوهم هم أيضاً ؛ كما هي العادة بأن هذه الدول تبدأ أولاً باستعمال نفوذ الأمير الوطني في أغراضها ، وتصريفه في حاجاتها ، حتى إذا قضتها كلها رجعت إليه ونبذته نبذ الحصاة ، وذهب يقرع سن الندم على استرساله إليها واعتماده عليها . وبقي الأمر كذلك إلى سنة 1877 إذ نشبت الحرب بين الروسية والعثمانية فثار الطاغستانيون وافتتحوا قلعة القومق، ولكن لما دارت

الدائرة على الدولة العثمانية في تلك الحرب، تمكن الروس من قمع الثورة بدون عناء كبير .
ولما انحلت الحكومة القيصرية ، وقامت الحكومة البولشفيكية سنة 1917 محلها وأعلنت استقلال الأمم المهضومة ، وخيرت الشعوب التي كانت القياصرة الروس قد أخضعوها بحد السيف بين أن تبقى منضمة إلى روسيا الأصلية، أو تنفصل عنها ، كان أهالي بلاد القوقاس أجمعين ممن أعلنوا استقلالهم التام ، فتألفت جمهورية في كرجستان(***) ، وأخرى في الطاغستان،والثالثة في آذربيجان، والرابعة في أريفان(***)،وأوفدت كل من الجمهوريات الأربع وفـودهــا إلـى الآستانة لمفاوضة الأتراك والألمان في الاعتراف بهذه الجمهوريات الأربع، وصار الحديث في ارتباطها بعضها ببعض بشكل حلفي، وكان الوفد الطاغستاني الجركسي مؤلفاً من عبد المجيد بك ، وعلي بك ، وحيدر بك بامات الذي كان ناظر الخارجية الطاغستاتية . وما مضت مدة قصيرة حتى داخل الكرج الدولة الألمانية وطلبوا حمايتها فاعترفت لهم بالاستقلال دون غيرهم (1) وأحدث ذلك خلافاً بين الأتراك والألمان لأن تركيا تقاضت حليفتها ألمانيا الاعتراف باستقلال الجمهوريات الثلاث الباقية ، حتى أن طلعت باشا الصدر الأعظم يومئذ سعى لدى ألمانيا في معرفة استقلال جمهورية اريفان الأرمنية التي كانت تتقرب من الدولة العلية ، وكان رجال الدولة يريدون بمساعدتها إصلاح ذات البين بينهم وبين الأرمن (2) فتقدم أنور باشا إلى هذا العاجز(3) أن أذهب إلى برلين وأتكلم في هذا الموضوع وأقنع نظارة الخارجية الألمانية بلزوم المساواة بين جمهوريات القوقاس كلها ، وإلا لم يكن مناص من الاختلاف.. وكلفني الوفد الطاغستاني أيضاً أن أهتم بقضيتهم نوعاً لأنهم حسبوا أن الترك قد يصرفون معظم عنايتهم في مصلحة جمهورية آذربيجان التركية فقط ، فبذلت في تلك الأيام جهدي مع نظارة الخارجية في برلين في تمهيد الخلاف ، وكان أكثر الكلام مع فون روزنبرغ الذي كان مديراً للأمور الشرقية ، وهو هو اليوم بينما أحرر هذه الأسطر ناظر الخارجية الألمانية . ولم يلبث أن حضر إلى برلين طلعت باشا والكونت برنستورف سفير ألمانيا في الآستانة ، واشتركنا في حل هذه المسائل جميعاً وتم الاتفاق لولا أن الحرب في الجبهة المقدونية جاءت بما لم يكن في الحساب . وطلبت بلغاريا الهدنة ، وابتدأت نهاية الحرب فوقف كل شيء من جهة ألمانيا وتركيا ، واحتل الانكليز القوقاس ، وعلق القوقاسيون عامة آمالهم بانكلترة . أنها تعترف باستقلالهم وتوطد لهم حكوماتهم ، لا سيما أنها كانت تعطف على الطاغستانيين قديماً أثناء مقاومتهم الطويلة للروس فكان الأمر بالعكس إذ حصرت انكلترة جهودها في مناهضة البولشفيك ، وإعادة الحكم الإمبراطوري على أصله ، وأمدت الجنرال دنيكين عدو هؤلاء بالمال والسلاح، فما بدأ الجنرال بالحرب مع البولشفيك حتى غزا الطاغستان، وحاول القضاء على استقلالهم ، فجرت بين الفريقين الوقائع الدامية ، وما

زالت إلى أن انقـضـى أمــر دينيكين ، واسـتـتـب الأمر للبولشفيين أنفسهم ، فجرد هؤلاء جيوشاً على جمهوريات القوقاس الأربع . فقبضوا على أزمتها وألحقوها بحكومة موسكو خلافاً لوعدهم الأول ؛ وثار أهالي الطاغستان عليهم فتغلبت الحكومة البولشفية على الثوار وقبضت على بعضهم وألقتهم في السجون ، وشُرِّدَ قسم من رؤساء الحكومة المستقلة ؛ ومنهم عبد المجيد بك ، وصديقنا حيدر بك بامات إلى أوربا، حيث يواصلون مساعيهم لأجل قضيتهم القومية إلى يومنا هذا(4) .

الهوامش :

* عن كتاب "حاضر العالم الإسلامي" للأمير شكيب أرسلان (بتصرف) .

** الطاغستان هي التسمية التي كانت متداولة لما يعرف الآن : داغستان .

1- تم ذلك لأن أكثرهم نصارى وقد كررت ذلك ألمانيا في الاعتراف ودعم استقلال كرواتيا وسلوفينيا ولم تحافظ على استقلال البوسنة والهرسك .

2- لأن طلعت باشا لم يكن صاحب حمية إسلامية ، وهو من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي التي ثارت على السلطان عبد الحميد ، وكانت تعتمد على عناصر يهود الدونمة الذين تحركوا باسم القومية .

3- أي كاتب هذه السطور الأمير شكيب أرسلان .

*** كرجستان = بلاد الكرج = جورجيا .

*** أريفان = أرمينيا .

4- ولد شكيب أرسلان في سنة 1286هـ /1869م وتوفي في سنة 1366 هـ/ 1946 م. انظر الأعلام للزركلي 3/173-175 ومذكرات شكيب أرسلان .

@آذربيجان بين الماضي والحاضر

تتناقل وسائل الإعلام اسـم آذربـيـجـان بصورة عمومية تحتاج إلى الإيضاح - أكثر من أي وقت مضى - لأن القارئ العربي قد كونَّ صورة مغلوطة عن تلك البلاد خلال هذا القرن .

لقد حدَّد الجغرافيون العرب موقع أذربيجان وضبطوا اسمها ، والنسبة إليها ، وخير مثال على ذلك ما دونه ياقوت الحموي (ت 2 62 هـ/1225م) في كتاب معجم البلدان (1/128-129) حيث قال .

"وحَــدُّ أذربيجـــان من بَرْذَعَة مشرقاً إلى أرزنجان مغرباً ، ويتصل حدُّها من جهة الشمال ببلاد الديلم ، والجيــل والطَّرْم ، وهو إقليم واسع . ومن مشهور مدائنها : تبريز ، وهي اليوم قصبتها وأكبر مُدُنِها، وكانت قصبتها قديماً المَراغة ، ومن مدنها خُوَيّ ، وسَلمَاس ، وأُرمية، وأرْدَبيل، ومَرَند، وغير ذلك . وهو صُقع جليل ، ومملكة عظيمة ، الغالب عليها الجبال .

وقد فتحت أولاً في أيام عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، وكان عمر قد أنفذ المغيرة بن شُعـبـة الثَّقفي والياً على الكوفة ، ومعه كتابٌ إلى حُذيفة بن

اليمان ، بولاية أَذربيجان ، فورد الكتاب على حذيفة وهو بنهاوند ، فسار منها إلى أذربيجان في جيش كثيف ، حتى أتى أردبيـل، وهي يومـئــذ مدينة أذربيجان . فقاتلوا المسلمين قتالاً شديداً أياماً . ثم إن المرزبان صالَحَ حذيفة على جميع أذربيجان ، على ثمانمائة ألف درهم وزن".

إن آذربيجان تعرضت للتجزئة جراء ما تعرضت له من مؤامرات خارجية ، حيث قسمت حسبما أراد جيرانها الأقوياء،فأنشئت جمهورية آذربيجان السوفييتية في 28 نيسان/أبريل سنة 1920م كجزء من اتحاد الجمهوريات الاشتراكية المحلية القائمة وراء القفقاس ، ثم ألحقت بالاتحاد السوفييتي في 5 كانون الأول/ديسمبر سنة 1936 ، وأصبحت آذربيجان السوفييتية تعني : "آذربيجان" ومـسـاحـتـهـا : 86630 كم^2 ، وجمهورية "نخجوان" المستقلة إدارياً ومساحتها : 5500 كم^2 ، ومقـاطـعــة "قره باغ" الأعلى ذات الاستقلال الإداري ومساحتها : 4400 كم^2.

الحدود: يحدها من الشرق بحر قزوين ، ومن الشمال جمهورية داغستان المستقلة استقلالاً إدارياً ، ومن الشمال الغربي جمهورية جورجيا ، ومن الجنوب الغربي جمهورية أرمينيا ، ومن الجنوب تركيا ، وآذربيجان الإيرانية ، وتفصل أرمينية بين آذربيجان وجمهورية نخجوان . ويفصل بين آذربيجان الشمالية وآذربيجان الجنوبية - التي هي جزء من إيران - نهر (اركس ، أو اراس ، أو الرس) - حسب ما ورد في المراجع العربية ، وتحدها من الشــرق منطقة (كيلان) جيلان ، ومن الجنوب منطقة زنجان . ومنطقة "سننجد" ، وهما إيرانيتان ، علماً أن أكثرية سكان سنندج من الأكراد.

معـظــم الـسـكـان في آذربيجان الإيرانية من القبائل التركية الأصل واللغة ، ولا سيما في الشمال الشرقي والجنوب، وقد هاجر الكلدان والآشوريون من الشمال إلى العراق وسوريا، في الفترة الممتدة ما بين الحربين العالميتين ، وحصلوا على الجنسية العراقية ، والجنسية السورية ، وانفصلوا عن وطنهم الأم نهائياً .

والآن يدعون أن بلاد ما بين النهرين وما حولها هي بلاد أجدادهم ، وتتبنى قضاياهم منظمات حقوق الإنسانية الغربية لزرع الفتنة في بلاد المسلمين .

علماء آذربيجان :

لقد حفظت لنا كتب التاريخ ، وكتب الطبقات ؛ عدداً لا بأس به من أسماء العلماء الذين انتسبوا إلى مدن آذربيجان. فقد ذكر الإمام الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء (17/544 ، الترجمة رقم :363) من مدينة باكو : "الإمام الصالح المحدث : أبي عبد الله ، محمد بن عبد الله بن عبيد الله بن باكويه، الشيرازي الباكوبي (ت 428 هـ) ، ولهذا العالم ترجمة في أنساب السمعاني 2/54 ، واللباب للجزري 1/113 .

وذكر لنا الذهبي في سير أعلام النبلاء من مدينة زنجان ، سعد بن علي بن محمد بن علي بن الحسين الزنجاني ، أبو القاسم .

عصر الاحتلال الروسي :

لم ينحصر تآمر أعداء الإسلام في منطقة معينة بل امتد التآمر إلى معظم الأقطار ، وواكب مسيرة الزمن عبر العصور ، واستعراض الوقائع التاريخية يدل على ذلك وكثيراً ما كان أعداء الإسلام يتحدون ضد الإسلام متناسين خلافاتهم ، وضمن هذا السياق يبرز الاتفاق البريطاني الروسي ضد المسلمين في القرن الماضي وما تلاه ، وقد شملت المؤامرات آذربيجان التي دخلتها القوات الروسية القيصرية سنة 1326هـ /1908م ولم يختلف الحال مع وصول الشيوعيين إلى الحكم بعد انقلاب تشرين الأول (اكتوبر) سنة 1917 م حيث أن قواتهم احتلت باكو عاصمة آذربيجان سنة 1918م ، واعتبروا آذربيجان (جمهورية سوفييتية) سنة 1355 هـ/1936م وبدأت مسيرة إلغاء الهوية الإسلامية الآذربيجانية .
وعندما وصلت الشيوعية إلى نهايتها وانهارت غير مأسوف عليها ، بدأ الناس يتحررون من أَسْرِ الشيوعية ، ولم يقتصر الأمر على المسلمين بل شمل حتى الروس الروم الأرثوذكس الذين اعتبروا الحزب الشيوعي الروسي حزباً محظوراً . ومع الأسف الشديد ما زال الشيوعيون العرب متمسكين بتلك النظريات الفاسدة .
بدأ العد التنازلي السريع في مسيرة القهر الشيوعية ، فسقطت النظم الشيوعية التي كانت حاكمة سنة 1989 في أوربا الشرقية . وفي 19/8/1991م حصل الانقلاب العسكري على غورباتشوف ، وبرز بوريس يالتسين كبطل قومي روسي ، وعندها سقط الحزب الشيوعي ، ومع سقوطه انتهى الاتحاد السوفييتي ، وكان قد سبق ذلك قيام اتحاد جديد أطلق عليم اسم (اتحاد الجمهوريات المستقلة) وضم جمهورية روسيا الاشتراكية الفيدرالية ، وآذربيجان ، وتركمانستان ، وأوزبكستان وطاجكستان ، وقيرغيزستان ، وبيلوروسيا وكازاخستان ، ورفضت الدخول إلى ذاك الاتحاد دول : أرمينيا ، واستونيا ، وجورجيا ، وليتونيا ، وليتوانيا ، وكولدافيا وأوكرانيا . هكذا خرجت الدول النصرانية من تحت السيطرة الروسية بينما بقيت للروس سيطرة على الدول التي تضم أغلبية مسلمة من خلال الاتحاد الجديد . ويتضح ذلك من خلال تتبع الأحداث في الدول المستقلة ، فما أن تتجه إحدى هذه الدول نحو الحرية ، والتقارب مع الدول الإسلامية حتى تتصدى القوات الروسية للمسلمين فتقمعهم وتُنَصِّب حكومات من الشيوعيين الملحدين ، وتقدم لهم القوات الروسية الحماية ، وخير مثال على ذلك ما حدث في طاجيكستان ، وما يحصل في جورجيا ، وآذربيجان .

الوضع المتفجر:

بعد سني الشيوعية الطوال ظن الآذاريون أن أملاً بحل الأزمات المتفاقمة في البلاد قد لاح في الأفق عندما تخلصوا من نظامهم الشـيـوعــي فـي آذار (مارس) 1992م أقصى البرلمان مطلبوف ، الرئيس الشيوعي آنذاك ، في : "انـقــلاب برلماني" وذلك بقرار إلغاء مجلس السوفييت الأعلى المؤلف من 250 عضواً يشكل الشيوعيون السابقون غالبيتهم ، وأقروا "ملي مجلس" منح صلاحيات تشريعية ، اقتسم الشـيـوعـيــون والديموقراطيون مقاعده الخمسين مناصفة وبدأت رحلة الحكم لترث تركة صعبة في "قره باخ" وفي الاقتصاد الذاتي والمدني بحل أزمة قره باخ وأتعا وإنهائها وحسم المعارك خلال مئة يوم ولكن شيئاً من هذا لم يحصل .
وأخذت الأمور تتدهور بشكل "دراماتيكي" عندما قامت حـركــة معارضة شيوعية بقيادة أحد ضباط الجيش سورت حسينوف (والذي كان الرئيس أبو الفضل التشي بيه قد أقاله منذ فترة قصيرة) وأخذت قوات المتمردين تسيطر على مدن آذربيجانية دون أية مقاومة من الجيش الذي تحرك باتجاه العاصمة بدلاً من التحرك غرباً لمواجهة التقدم الأرمني داخل الأراضي الآذارية .
وحسينوف هذا من مليوناري البلاد الذين يملكون مصانع نسيج وقد ساهم في تسليح الجيش ورصد ميزانية له مما يفسر عدم تعرض الجيش له عندما توجه إلى العاصمة .
التمرد الذي قاده سورت حسينوف كان قاصمة الظهر لوحدة الجيش الآذاري الذي يواجه جيشاً أرمنياً منظماً حيث أن قوات التمرد وبدلاً من التوجه إلى قــره بـاخ فـقــد أحكمت سيطرتها على عدة مدن وهددت باحتلال العاصمة الأمر الذي أدى بالرئيس التشي بيه إلى إرسال قوات حكومية لتجريدها من السلاح فاصطدمت مع قوات التمرد في مديـنـة غنجة سقط من جرائه مئات القتلى والجرحى واستقال على أثر الحادث باناخ حسينوف ورئيس الوزراء عيسى غمباروف اللذان اتهما بتدبير الحادث .
وكانت عودة الشيوعيون إلى الحكم بتسلم حيدر علييف زعيم الحزب الشيوعي الـسـابــق مهمات رئيس الدولة في آذربيجان يوم الجمعة 18/6/1993 بعد أن غادر الرئيس المنتخب (في حزيران 1992) أبو الفضل التشي بيه العاصمة باكو بصورة مفاجئة ولجوئه إلى مسقط رأســـــه فـي ناختشيفـان (وهي مقاطعة تقع بين أرمينيا وإيران تتمتع بحكم ذاتي ضمن جمهورية آذربيجان) . وكان رئيس الدولة التشي بيه قد وعد عند تسلُمِّه مقاليد الرئاسة بحسم مشكلة قره باخ وتحسين الأوضاع الاقتصادية ولكن إخفاقه في تحقيق أي من هذه الوعود إلى جانب الهزائم المتكررة التي منيت بها القوات الأذارية وضعت شعبيته موضع تساؤل أدت إلى الإنقلاب عليه .
في الخامس والعشرين مـــــن شهر يونيو (حزيران) 1993 قرر البرلمان رسمياً سحب جميع الصلاحيات من الرئيس أبو الفضل التشي بيه وتحويلها إلى حيدر علييف . والذي التقى برئيس التمرد في اليوم التالي وأسند إليه

منصب رئاسة الوزراء في مطلع شهر يوليو الحالي وبذلك يكون الرئيس علييف قد تخلص من جميع أنصار التشي بيه وأسند المراكز الحساسة وقيادة الجيش إلى من "يثق بهم" .
وبهذا تكون آذربيجان قد عادت إلى الحكم الشيوعي المباشر مضيفة هماً جديداً إلى الثقل الذي تحمله البلاد من اعتداءات الأرمن واحتلال أراضيها .
وبسقوط مدينة مارداكيرت الاستراتيجية (أغديري كما يسميها الآذاريون) في يد الأرمن في التاسع والعشرين من حزيران الماضي تكون القوات الأرمنية قد استكملت احتلالها لمعظم المدن والمناطق الآذارية المحيطة والمكونة لقره باخ والتي تخطط أرمينيا لضمها لأراضيها على أساس أنها منطقة "ذات غالبية أرمنية" ، بعدما كانوا قد سيطروا على ممر لاتشين وقضاء كلياجار وهما منطقتان آذربيجانيتان خارج قره باخ . ثم واصلت القوات الأرمنية تقدمها نحو مدينة أغدام داخل الأراضي الآذارية لتدخلها أوائل شهر يوليو الجاري وتحول القوات الأرمنية لقصف مدينتي فضولي وجبريل لتغطية سقوط أغذام.
والمعروف أن أرمينيا تتلقى الدعم من الغرب بشكل عام ومن روسيا على وجه الخصوص . كذلك تتلقى الدعم من إيران وقد حجزت تركيا باخرة سلاح إيراني كانت متجهة عبر مياهها إلى ارمينيا ، وهنا قد يتساءل البعض عن سر الدعم الإيراني للأرمن ؟ والجواب أن إيران لا ترغب في قيام دولة آذربيجانية حرة مستقلة خوفاً من اتحاد الآذاريين في دولة واحدة لأن ذلك يهدد بانفصال آذربيجان الجنوبية عن إيران سيما وأن الآذريين يتكلمون اللغة التركية وليس الفارسيـــة . كذلك فإن إيران لا تريد أن تزعج روسيا التي تزودها بالسلاح .
المشهد يتكرر في مناطق أخرى في العالم الإسلامي ، فليبت الأراضي الآذارية التي احتلها الأرمن بأحسن حال من تلك التي تسقط في أيدي الصرب أو الهنود أو الجيش البورمي . فتقارير "جمعيات حقوق الإنسان" تتحدث عن انتهاكات خطيرة بحق السكان العزل حيث أفادت التقارير من أغدام بأن "الجثث تملأً الشوارع والعديد منها قد أعدم عن مسافة قريبة (..) إنك أمام مجزرة حقيقية يصل أعدادها للمئات إذا لم نقل الآلاف".
المئات والآلاف من القتلى أرقام اعتادت التقارير التي تتحدث عن المسلمين أن تتميز بها 600 ألف شخص شردوا حتى الآن من المناطق الآذارية المحتلة (أي واحد من كل عشرة أشخاص من سكان البلاد الإجمالي) والحكومة في أزمة والجيش في انشقاق .
الشيوعيون يهددون بإقامة دولتهم في شمال أفغانستان والحكومة في ذلك البلد في انشقاق والجيش في انقسام .
الشيوعيون يأخذون الحكم في طاجيكستان على رقاب عشرات الآلاف من القتلى ومئات الآلاف من المشردين .

الشيوعيون يعودون إلى الحكم في آذربيجان والأرمن يتقدمون في أراضي المسلمين والجيش إلى مزيد من الانقسام وخلاف على "الورثة" بين زعماء البلاد وسياسييه .
الشيوعيون الذين لفظتهم روسيا ودفنت مؤسساتهم من غير دموع يعودون للحكم في مناطق المسلمين بدعم من روسيا التي تدعمها أميركا والغرب .

@أخطار الكنيسة الرومية الأرثوذكسية في ألبانيا

عبد العزيز طيفور

إن الحرية التي تتمتع بها الكنيسة الرومية الأرثوذكسية في ألبانيا دفعتها لاختيار قس يوناني لرئاستها في ألبانيا بعد تزكيته من قبل البطريركية الرومية الأرثوذكسية في اسطنبول ، ولم تسفر معارضة القساوسة (البطارقة) الألبان رغم ما بذلوه من معارضة اتخذت الصحافة وبعض وسائل الإعلام لها منبراً، وتم بموافقة الحكومة الألبانية اعتماده رئيساً لأساقفتها وهو البطريق (باتو لاتوسي) .
وعمد هذا البطريق اليوناني إلى اختيار قساوسة لكل مدينة من مدن الجنوب ، وممن أختارهم : القس البطريق كريستوف استومي ، لمدينة جروا كاسترا ، وقد كان يتردد عليها من مقره في يانيا بشمال اليونان ، ومن نتائج حركته التي اتخذت طابعاً ديبلوماسياً تمكن من خلاله من تنفيذ مخطط نتج عنه تهجير كمٍّ هائل من الألبان تحت ضغط المعاناة المعيشية متخذاً أسلوب تغيير الاسم المسلم إلى نصراني سبباً للحصول على تأشيرة الدخول التي يتيسر له العمل بها ، كذلك دعمه للأرثوذكس من الأصل الألباني ، أو اليوناني لشراء الأراضي في الجنوب حتى بلغ به أن جاهر بدعوته في حث الأرثوذكس على المطالبة بالإنضمام إلى الشمال اليوناني بحكم أنها امتداد طبيعي لخارطة اليونان ، بدليل انتشار عضوية الحزب اليوناني الذي سيطر على بعض البلديات في انتخابات المجالس البلدية بالجنوب الألباني .
وبعد طول متابعة لما يجري على مرأى ومسمع من أهل الجنوب ، بدأت الحكومة الألبانية في جمع الحقائق والمعلومات ، ثم وجهت له الانذارات التي انتهت أخيراً بالقرار الصادر في 25/6/93 بإبعاده من البلاد، وتم ذلك في 26/6/93،وعندها بدأت ردود الفعل اليونانية وبصورة عاجلة بطرد 1500 مهاجر ، واعتقال 4500 بدعوى دخولهم إلى البلاد وتسللهم بدون أوراق ثبوتية ، ثم تلاحق الطرد للمهاجرين الألبان إلى أن وصل إلى حوالي 20 ألف مهاجر ، علماً بأن اليونان كانت قد أقامت لهم معسكراً حول مدينة سيلانيك(*) أكبر مدن الشمال اليوناني ، والمتاخمة للحدود الألبانية على الطريق المؤدي إلى

اسطنبول حيث مقر المنظمة التي تدعى منظمة شمال اليونان (Vorio Epir) ويتم فيها اعتناق الأرثوذكسية من قبل هؤلاء المهاجرين الألبان .
ثم بدأ الإعلام دوره في تغطية ما يدور، متخذاً أسلوب صرف الأنظار عن موضوع الإبعاد، حيث أذاعت اليونان خبراً مغايراً فادَّعت أن ما تم تنفيذه من الإبعاد إنما كان لاتفاق سابق تم في اجتماع سابق بين السيد صالح بريشة رئيس الجمهـورية الألباني ، ورئيس الوزراء اليوناني ، ودعمت ذلك إذاعة لندن الـ B.B.C في تبرير موقف اليونان ، وآخر مارددته الإذاعة اليونانية ، تصريح الرئيس الروسي بوريس يالتسين في زيارته لليونان ضمن خطابه الذي ألقاه في أثينا تحت شعار حماية الأرثوذكسية بكل الوسائل، ومـواجـهــة هجمات المسلمين أينما كانوا ، وتكلم بشدة ضد ألبانيا .
ولا تزال اليونان تـذكــي نار الفتنة في جنوب ألبانيا حيث قامت عدة تظاهرات تـنـــدد بالرئيس صالح بريشة ، وتؤيد موقف اليونان ، مما يؤكد فعالية الأيدي الأجنبية التي لا تزال تعمل داخل ألبانيا .

أخي المسلم :

لا يخفى على أحد أن مــا يـجـــــري في منطقة البلقان ابتداءً بالبوسنة وتمهيداً لكوسوفو وإعداداً لألبانيا ، يشبه المؤشرات الـتي سبقت وانتهت بالحرب العالمية الأولى والثانية ، وقد لاحت في الأفق ملامح حرب عامــة وصارت قاب قوسين أو أدنى ، فقد تكالبت كل أطراف الأرثوذكسية بكل بشاعتها ووقـــاحتها وتحرشاتها السافرة سواء من اليونان بما يجري الآن في جنوب ألبانيا ، أو من صربيا وقناصتها في شرق ألبانيا التي لا تزال تنال من الشعب الألباني بين فترة وأخرى .
إن موقف هذا الشعب الذي لا تزال آثار الشيوعية عالقة بسحنته شحوباً وفقراً ، يتطلب حماية ووقفة تذكره بإسلامه وتدفع عنه وتواسيه .
إن ضرورة الوقوف بجانب الحكومة والشـعـــب الألباني المسلم يحتمها الإسلام في دعم المواقف والمؤازرة ، لذلك قامت الجمعيات من خلال مجلسها التنسيقي بإعداد وترتيب الجهود في جمع ما يمكن توفيره من المساعدات لمساعدة هذا الكم الهائل من المهاجرين الذين افتقروا إلى المأكل والمشرب والملبس والدواء زيادة على ما تعانيه دولتهم من البؤس وقلة المؤونة .
لذلك نهيب بأهل الخير والإحسان أن يعمـلـــوا كي تتضافر الجهود لدعم ونصرة هؤلاء المستضعفين والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه . (وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة) ، والله يجزي المحسنين خيراً .

الهوامش:

* كانت سيلانيك مركزاً هاماً من مراكز اليهود وأعداء الخلافة الإسلامية ، وفي سيلانيك ولد مصطفى كمال أتاتورك ابن زبيدة ، ثـم نـســب إلى علي رضا الذي تزوج زبيدة حينما كان عمر ابنها مصطفى 12 سنة .
- البيان -

@لمن المطرقة بعد الصومال

محمد الشيخ عثمان

مضت سنتان ونصف أو أكـثــر على الإطاحة بمحمد سياد بري (21/1/1991م) وما زالت أحوال الصومال ومصيرها غـيــر مـعـروفـة حتى الآن ، وخاصة بعد الأحداث الأخيرة في مقديشو والتي وقعت بين قوات الأمم المتحدة بقيادة أميركا ، وبين أنصار الجنرال محمد فارح عيديد ، وأدت إلى خسائر في الأرواح والـمـمـتـلكات بعد قصف الطائرات الأميركية الأماكن التابعة لعيديد . وقد سبق أن كتبتُ في (البيـان)(*) عن أسباب التدخل الأميركي وموقف المسلمين تجاه أحداث هذا البلد . وبما أن الأوضاع تغيرت سريعاً وجُلّ من يكتبون في هذه الأحداث لا ينطلقون من رؤية إسلامية واضحة اضطررت إلى كتابة هذا المقال لبيان وجه الحق في هذه القضية إن شاء الله .

1- إن جميع الجبهات السياسية-العسكرية فـي الـصـومـــال قبلية ولها طابع علماني ، وقادتها - بدون استثناء - لا يمثلون الشعب ، وهم بحمد الله معروفون في الداخل ، ولا يوجد أدنى فرق بين الجنرال محمد فارح عيديد ، والعقيد عبد الله يوسف ، والجنرال محمد سعيد حرس "مورغان" ، وعلي مهدي محمد والعقيد أحمد عمر جيس ، وغيرهم . وقد شارك الجميع بشكل أو بآخر في مأساة هذا الشعب المنكوب سواء في الحروب القبلية ، أو بالمشاركة في البرنامج السياسي المتمثل بدعوة أميركا للتدخل في الصومال لإكمال التبعية لكلينتون وبطرس غالي ، وكل أعداء الإسلام والمسلمين .

2- إن قوات التدخل الأميركي في الصومال سواء أعملت تحت اسمها أو تحت مظلة الأمم المتحدة لم تطبق ما ادّعته أميركا في القرار 784 بتاريخ 9/12/1992م والذي أوحى أنها تتدخل لإعادة الرجاء لهذا الشعب ، وحماية قوافل الإغاثة التي كانت تتعرض للنهب والسطو من قبل العصابات التابعة للجبهات القبلية ، وإنما كان هذا التدخل يمثل أموراً أخرى ، على رأسها تكوين حكومة علمانية موالية بعد إيجاد الأرضية لها ، ومحاولة التخلص مما يسمونه (الأصولية) المتنامية في المنطقة ، إلى غير ذلك من الأهداف. ودليل ذلك سلسلة الأحداث ابتداء بنزول المارينز الأميركيين على شواطئ مقديشو يوم 9/12/1992م وما تبعها من قوات فرنسية وبلجيكية وذلك فيما عُرف بـ : (UNITAF) (United Task Force) . وفور نزول تلك القوات بدأت - كعادتها -

تُحسّن صورتها بالقيام بأعمال إنسانية ، وفعلاً قامت القوات بإيصال مواد غذائية لمقديشو وبيدوا وبارديرا وكسمايوا وغير ذلك من المدن التي كان يموت فيها يومياً مئات الأطفال والعجزة. وخلال تلك الفترة رحب الشعب بتلك القوات اعتقاداً منه أن تدخلها إنساني ، ولإيجاد حل سياسي لإنقاذ البلاد مما تتعرض له من قتال ونهب واغتصاب واعتداءات أخرى . ولا غرابة في ترحيب الشعب بهذه القوات وخاصة بعد ما خاب أمله في الدول الإسلامية.
كان المسؤول الأول سياسياً عن قوات الـ (UNITAF) روبرت أو كلي وهو سفير سابق لأميركا في الصومال ، والجنرال جنسون قائد القوات الأميركية في هذه العمليات . وبدأت أميركا المرحلة الثانية من مهماتها بعد تمهيد الأرضية لها بارتداء ثوب الأمم المتحدة معلنة انتهاء دور قواتها في الصومال ، لذا فقد أصدر بطرس غالـي الـقـــرار رقم 814 بتاريخ 26/3/1993م بدعوة قوات متعددة الجنسيات إلى الصومال للقيام بمـهـــام خارج مهمة حماية الإغاثة ، مثل إعادة الأمن إلى البلاد ، ونزع السلاح من الـمـسـلـحين ، وجمع الأطراف المتنازعة إلى مائدة المفاوضات . وذلك إثر مؤتمر أديس أبابا الثاني والذي اتفقت الجهات المتحاربة فيه على إيقاف الحرب وتكوين مجلس انتقالي للبلاد. وخـــلال تلك الفترة وهي فترة (UNISOM 1) حاول مندوب الأمم المتحدة السيد محمد سـحـنــــون محاولات جادة لحل أزمة البلاد وجمع شمل الشعب من خلال التقريب بين الجبهات إلا أن جميع جهوده باءت بالفشل وذلك بسبب العراقيل التي وضعت أمامه من قبل أميركا وبطرس غالي مما أدى لاستقالة سحنون من مهمته ، ولم يكن تنازل أميركا للأمم المتحدة إلا أمراً صورياً حيث عينت الأدميرال الأميركي "جونثان هاو" : (Jonothan Howe) قائداً لقوات الأمم المتحدة وعينت العقيد "ستوك ولل" (Stockwell) وهو أميركي مسؤولاً أمـنـياً لهذه القوات . ولما انتدبت الأمم المتحدة "عصمت كتاني" وهو ديبلوماسي عراقي لمتابعــة قضية الصومال فوجئ بأن القوات المزعومة ليس لها أي صلاحيات ، وأن أمور البلاد تدار من قبل السياسة الخارجية الأميركية مما أدى إلى استقالته فوراً متعللاً بأسباب صحية . وخلال فترة ما يعرف بـ (UNISOM1) خدعت أميركا رؤساء الجبهات القبلية بوعود فارغة ، وذلك من خلال مؤتمر أديس أبابا الثاني . وقد وافقت جميع الجبهات على ما أملت عليها أميركا من نقاط كتعديل دستور البلاد وحذف فقرات منه ، وإضافة أشياء أخرى . وأصرّ "روبرت أو كلي" حذف عبارة "الإسلام هو الدستور الوحيد للبلاد" وتغييرها بـ : "الإسلام أحد مصادر دستور البلاد" . ومن الغريب جداً أن أميركا طلبت أن يكون ثلث أعضاء المجلس الانتقالي المكون من 75 عضواً، من النساء، كما أضافت فقرة وهي : "حرية الأديان وحماية حقوق الأقليات" . ويعنون بالأقليات فئة من الصوماليين النصارى أمثال محمد سعيد سمنتر مدرس في إحدى جامعات أميركا وأحمد حيلي الذي عينه علي

مهدي في منصب نائب وزير الخارجية بمؤتمر جيبوتي المنعقد في شهر 6 و 7 عام 1991م .
هذا الدور الأميركي خلق شكوكاً لدى رؤساء الجبهات القبلية وبالأحرى العساكر منهم مما أدى إلى لقاء عاجل بين الجنرال عيديد والعقيد عبد الله يوسف في مقديشو في نهاية شهر أيار (مايو) 1993م مما فتح مواجهة مسلحة بين عيديد وقوات الأمم المتحدة أو القوات الأميركية بعد مقتل 23 من القوات الباكستانية داخل مقديشو . وتعد هذه المرحلة الثالثة والخطيرة، وهي مرحلة استعمال القوة وضرب أي شخص أو مجموعة تقوم بعمل عدائي ضد قوات الأمم المتحدة وهذا تحت القرار رقم 837 بتاريخ 7/6/1993م .
بعد صدور هذا القــرار بدأت القوات الأميركية بضرب مناطق مهمة في جنوب العاصمة كانت تحت سيطرة عيديد مما أدى إلى خسائر في الأرواح والممتلكات ، وإرغام الجنرال على الاختفاء ولا زال مصيـره مجهولاً(**) .
وراحت قوات الجيش الأميركي تتصرف بطريقة عـشـوائـيـة كما حصــل في بداية شهر تموز (يوليو) من قصف الجيش الأميركي اجتماعاً لأنصار عيديد مما أدى إلى مقتل 73 صومالياً ، وجرح أكثر من مائة وذلك كله بحجة أن الجنرال فارح عيديد كان في الاجتماع . بيد أن الأمر ليس ملاحقة عيديد وإلاّ فقد ذكر أحد الجنرالات الإيطاليين أن قواته كان بإمكانها مرتين القبض على عيديد إلا أن "جوناثان هاو" القائد الأميركي رفض القيام بذلك حتى لا تنتهي المسرحية .
إن أميركا من خلال دورها الجديد في الصومال مستخدمة مظلة الأمم المتحدة أصبح واضحاً أن هدفها الأول والأخير هو تدمير ما تبقى من هذا البلد المنكوب ، وملاحقة العناصر التي ترفض سياستها ، فعلى من الدور الآن يا ترى ، وعلى من ستنزل المطرقة بعد الصومال .

الهوامش :

*- العدد 59 ، الصادر في رجب 1413 هـ ، ص 70 .

- "قال الأمين العام للأمم المتحدة بطرس غالي أنه بات ضرورياً تصفيه زعيم التحالف الوطني الجنرال **محمد فارح حسن عيديد جسدياً . مـن جـهـة أخـــرى ، سـأل مراسل صحيفة (ريبيبلكا) اليومية الإيطالية بطرس غالي - في نيويررك - عما إذا كان ضــرورياً تصفية الجنرال عيديد جسدياً ، فأجاب بـ(نعم) في الحديث الذي نشرته الصحيفــة في روما "يوم السبت 17/7/1993م/27 محرم 1414هـ ".

@عودة إلى المعرفة (2)

محمد بن حامد الأحمري

لا تقدم المدارس - التي في بـلاد الـمـسـلـمـيــن - للـطالب ثروة ثقافية كافية تُعَرِّفه بنفسه وبالحياة وبالناس من حوله ، وإذا كان الطالـب مــــن ذوي

الرغبة في الفهم والوعي يجب عليه أن يترصد المعرفة خارج المدرسة ، ولهذا السبب يعـجـز عدد كبير عن التماس سبيل المعرفة ، ويضل حيث يتلقاهم عالم نصراني واسع الاهتمام بـنـشـــر أفكاره وسلوكه ، كما يتلقاهم عالم الأحزاب المتناحرة التي يعطي كل حزب منها ثقافة خاصة به سرية أو علنية ، وربما كانت سخيفة أو ذات أهمية وخطر .
لذلك يفرض هذا المجهود الفردي المضني الذي يعانيه الطالب حتـى يتعلم - لأن المدارس لا تقدم له شيئاً من ذلك - والتخبط في وضع المناهج التعليمية هو الـــذي أوجـــد التعليم المتناقض ، والمجتمع المتباين ، والولاءات المتعارضة مما لا يعانيه غيرنا في العالم .
إن مدارس المسلمين - في أغلب الأحوال - لا تستطيع صياغة فكر الطالب لأنها لا تعرف ماذا تريد به ومنه ، وحتى لو كانت تعرف ، فإن غيرها قد يجبرها على سلوك طريق غير الـطـــريق التي تريدها هي لأنها قامت على أسس شكلية ربما كانت كردة فعل ضد الذين يتهمون الشعب بالافتقار إلى المدارس أو الجامعات ، لذا كان قيامها كإثبات شكلي أحياناً الغاية مـنـــه وجود المدارس لا فاعليتها وتربيتها ، ولا ليكون لها دور في تنوير المجتمع وهدايته وترقيته ، وتخلصه من غابة النصارى المفترسة وذلك بتقديم المؤسسات الإسلامية الهادفة..

اللغة :

لا تقدم المدارس للطالب آلة معرفية قوية . فآلة المعرفة هي اللغة ، وتكاد تكون معرفة اللغة العربية مـشـكـلـة جماعـية ، بينما نجد الأساتذة الأجانب يجيدون لغاتهم إجادة تامة ، وينقرون فيما لا يخطــر على بال في أعماق اللغة "لغتهم" ، وهذا ما ذكره لي أحد الطلاب الذين يدرسون مرحلة الدكتوراة في جامعة أوربية . وذكر أنه وزملاءه لا يعرفون لغتهم الأم مثلهم مثل الباحثين حتى بالـعــربية في البلدان العربية من الذين يعانون من هذه المشكلة التي لا يحلها الأستاذ المشرف ولكن لا بد من خبير آخر لحلها .
لقد أصبحت وسيلة المعرفة عائقاً عـــن التعلم والتعليم بسبب تجاهلها من قبلنا ولأسباب ضغوط أخرى منها اللغات التي تزاحــــم الأصل إذ يتهجىّ الطالب أول كلماتها ، ثم لا يعرف بعد ذلك عنها شيئاً ، ويشعر نفســـه أنه عرف لغتين ، أو تفتخر المدرسة وتدعي أنها علمت تلاميذها عدداً من اللغات في الوقت الذي لم يتعلموا من اللغتين شيئاً مذكوراً، ومن ضعفت وسيلته عسر عليه بلوغ غايته .
تخضع العملية التعليمية - في العالم الإسلامــي - لـجـهـــات عديدة متباينة في أهدافها ومصالحها تتنافى أحياناً مع مصالح المسلمين وغاياتهم ، فالذين يضعون البرامج التعليمية لا بد لهم من مراعاة »اليونيسكو« وقوانينها ، ولا بد لهم من مراعاة دول الغلبة والقوة ، ولا بد لهم من مراعاة الأقليات والجيران

، بعدوا أم قربوا ، ولكــل أمة وهيئة شروطها على مدارسنا تقتضيها القوانين النصرانية التي يسمونها عالمية .
وتخيلوا كيف يمكن لهذا التعليم أن يصوغ للطالب هوية ولغة ودين ومكانة بعد أن اشترط الجميع عليه إرضاءهم .
إن الذي يرضع الولاء والبراء مع لبن الطفولة، ويقرر ما يفيده حين يكون صاحب قراره، دون الانصياع لأعداء ورث عداوتهم ووعاها عن قناعة ، وعاداهـــم عن مصلحة وضرورة شرعية وعقلية ، ذلك هو الذي يمكن أن يكون عنصر بناء وريادة ، لا عنصر تقليد وتبعية مهينة .

روافد المعرفة :

التعليم عملية مبدئية تحتاج لاستقرار بعض المبادئ الثابتة لدى الفرد ، وهي صراع بين الجهل والمعرفة ، وليس لأحد الحق أن يحول الطالب إلى مادة مستهلكة تنفق عمرها في صراعات أنواع الجهل والغموض والبلادة بلا نهاية ، فالذي يريد أن يشارك في صراع الحضارات وبناء المدنيات والأمجاد ، والذي له دين ورسالة ، يجب أن يبدأ ببناء هذه الأولويات من المراحل الأولى ، ومع مرور الزمن يمكننا أن نجد رجالاً ينفعون ويضرون ، فمدة حضانة المعرفة عشرون سنة يغتنم خلالها المعلم والمتعلم زمنه ، وزمن حضانة الأخلاق أربعون عاماً تنتج دربة الخُلُق بعد التخلق أربعين عاماً . ولا يقاوم انهيار التعليم إلا بإثارة الحوافز لدى الأمة وإشعارها بأخطار الآخرين ومنافستهم .
لقد شهدت ندوة أقيمت في بريطانيا ، وكان الحديث فيها عن العملية التعليمية وضعفها عندهم ، واقتراح سبل المعالجة للشباب الذي فقد هويته ومكانة وطنـــه وضعف انتماؤه وكانوا يركزون على غياب الانتماء الحضاري ، ويند‍دون بهجمة كلمة العالمية التافهة التي جعلت البريطاني لا يحترم بلاده ، ولا يعمل ولا يجدُّ ولا يدرس ، وكـــانت اقتراحات عديدة منها ضرورة الدخول في حروب تذكي الحمية والولاء ، وتعيد القـــــوة والـغـيرة ، وتفتح الأسواق ، وتنمي الجيش والجدَّ في الحياة .
أما نحن فنرى - مقابل هذه الدعوات - بعض السذج في العالم الإسلامي يطالبون المسلمين بالتخلي عن المواجهة كلية ، وإلغاء كلمة الجهاد ، واللحاق بالعالم النصراني المسالم حتى لكأنهم يعيشون في كوكب آخر ليس فيه الصومال والبوسنة وفلسطين وغيرها ، وغيرها كثير جداً . ينسون دفع الله الناس بعضهم ببعض وأهمية جندية المسلم وإعداده للغزو حماية للحمى ، أما الأمر بالغزو فذلك ما لا يطيقه الخانعون ، ولا يطيقون الحديث عن استعادة كرامتهم ، من خلال بناء مناهج التعليم بناء إسلامياً كريماً ، ولا أقول : عدوانياً ، ولكن بناءً يتخلص من عقدة العدمية .
إن للإنـسـان الـمـسـلـم روافد ثقافية عديدة يجب إحياؤها كالمسجد الذي فقد دوره الثقافي عندنا، بينما استمر دور الكـنـيـسـة عند النصارى ، ودور الإعلام

الثقافي عندهم ، يقابله إعلام الدعاية الفجة في بلدان العالم الإسلامي التي تدعو للجهل لا للمعرفة .

القراءة :

لقد ضعفت إثارة الرغبة في المعرفة والفهم في مدارسنا ، فالكتاب المدرسي الذي يجب أن يكون بداية لكتب أخرى ، ولسلسلة من الكتب والمعارف ، واتساع دائرة المدروس ، وإثارة الرغبة الدائمة لدى الطالب والمدرس في معرفة بقية جوانب المواضيع الدراسية لأن قراءة كل صفحة هي إضاءة لجانب مجهول ، وزيادة للقوة ، فالعلم قوة ، والمعلومات المتناثرة في عهد الدراسة لا بد أن يحولها الطالب بعد فترة إلى علم ، وإلا فسيبقى المدرس والطالب على هامش المعرفة ، ولا عمق لهم ولا مدخل إليه ، جموع جاهلة تدعي المعرفة وتجهلها ، والحكمة تغترف من رفوف الكتب ، وتأبى أن تمنح نفسها للعاجزين والكسالى ، وذوي الملل والاستغناء بالشهادة أو المغرورين بالرأي الفاسد .

حرية التعليم :

لا بد للمعرفة من حرية تصان ، ولا يـمـكـــن أن يصون الجاهلون الحرية ، ولا أن يعرفوا سبيل الحصول عليها ، وكلما ضاق طريق الاختيار أمام الفرد ضاق إمكان تأثره أو استفادته من نفسه ومن الآخرين ، فتنوع المعرفة وعمقها وتناول مجالات عديدة من مجالاتها تجعل الإنسان عارفاً بحقِه ، عارفاً بطريق الحـصـــول عليه ، وأن تعسر طريق لم يكن كلاً عن ابتداع طريق آخر مدركاً لإمكان وجود بدائل صحيحة أخرى . وليس المقصود هنا حرية إنشاء المدارس الإنجليزية والفرنسية والصينية فذلك تعليم هدّام ، يمزق المجتمع وينشئ ولاءات داخله وتتصادم ثقافاته في عقل الطفل .

المعرفة الشرعية :

المعرفة الشرعية هي أس المعارف وهي التي تصون كل المعارف ، وتهذبها لذا يجب أن تكون مهيمنة عليها ليس فقط كمادة مدروسة ، ولكن اعتمادها توجهاً ، ومساراً يجمع شمل التعليم ، ويقلل الخلاف ، ويوحد الأمة ، ويخفف الصراعات داخلها . وغياب المعرفة الشرعية عند المسلمين، غياب لذاتهم ولتاريخهم ولهويتهم، وهو محو للشخصية، ولذلك يوجد المجتمع ثقافته البديلة أثناء غياب المعرفة الشرعية لتكون بديلاً عن المعرفة الشرعية، ويـتـصـرف حـسـب ثـقـافة اجتهادية متنوعة بديلة فيها الحق والباطل مؤذنة بالشذوذ والخرافة، وتفتح باب الثقافات الأخرى ويدخل المجتمع في دوامة لا نهاية لها. يدعي البعض: أن غيرنا كالنصارى مثلاً ليس لديهم تعليم ديني، ولا احترام لدين، فهذه مغالطة فلديهم مدارس دينية ، وبرامج دينية ، ومحطات تلفاز عديدة دينية ، وجامعات دينية ، وبعضها يميزون فيها البنين عن البنات إلى حد كبير ويطردون من يخالف منهج جامعاتهم ، أو يصرح بالإلحاد ، وليس ثبوت

حرية الإلحاد في جامعات أو مكان يلزم منه حرية الإلحاد في كل مكان أو كل جامعة "وليس هذا موطن شـــرح ذلك"(*) . ودارسوا الحضارات من كل الشعوب ، وفي كل العصور يرون أن الحضــارة لا تقوم إلا على دين يجمع ويدفع للعمل ، ولم يشذ عن ذلك سوى الشيوعية ، وكــانت شاذة في بدايتها وفي نهايتها . ولا يزعم أحد أنها كانت حضارة ، بل مشهد قسوة مـــــن مشاهد الانحراف والتشوه الفكري الألماني ، وشذوذ اليهود سرعان ما ثبت فشله ، فإلى متى لا نركب مركب الحق ونسلك طريقه ؟ كيف نرقى بالسلوك الشاذ بين الأمم بلا ديــن ولا هوية ؟ ونجهد لطمس ديننا كل يوم وطمس معالمه بأنظمة تعليمية غريبة ومعاديـــــة ، ولا تكفي لمعرفة الشرعية التي تدرس على مستوى ضيق بل وندرة في بعض الـبـلـــدان ، وبعضها الآخر يحاربها ، فإنها تدرس بشكل نظري جاف وبلغة لا تكاد تُفْهَمُ ، ونسي رجال المناهج أن يجعلوا من العملية التعليمية الشرعية أسلوباً عملياً ولو في نطاق ضيق حسب المسموح به ، ولك أن تقارن بين شيخ صادق يدرس الفقه بالمصطلحات العباسية كالرطل العراقي ، ولا يكاد يحدده لتلاميذه ، وبين الإمام أبي داود الذي نزل بئر بُضاعة يقيسها بعمامته حتى يعرف ويعرِّف بمقدار الماء النجس والطاهر . ونحتاج تحديث المصطـلـحـات الشرعية من خلال نشر معرفتها أو استخدام بدائل فيما يصح أن يكون له بدائل معاصرة أو أصبحت له بدائل أو "مُسَمَّيات" في زماننا ما دام ذلك لا يوجب حرجاً شرعياً ، ومــن الـمـكـايــل والمقاييس والموازين تنقل بالتحديث والمعاصرة إلى غيرها ، حتى لا يجد الطالب نفسه يتعلم رموزاً غريبة عنه . وأهم من ذلك إنزال الفقه إلى حياتنا اليومية .

القدوة :

لا يـســـوق الطالب للعمل الصحيح سوى المثال الرائع بدءاً بأمثلة مدروسة في التاريخ مثل تراجم الرجـــال التي تُربى لديه نزعةَ السّمو والاتباع للأبطال ، وتزيد معارفه في جوانب الحياة الإسلامـيـــــة العامة ، وتبعده عن أمثلة التفاهة وأقزام المجتمع ، وتجنبه السلوك الضعيف والقدرة المـــاجنة الهزيلة التي حذرنا منها ، ويكون استبدال ذلك ببدائل جادة وأمثلة من تاريخنا الإســلامي العامر بسير ذوي الشجاعة والعلم والكرم والحلم والجهاد ، وليس في مقالات قصيرة مبتسرة وإنما في حملة ثقافية واسعة تشمل شتى جوانب المعرفة .

إن من يـجـهـــــد لإقامة أمة وتعليمها لا يمكن أن يراعي كل الأمم ، ولا أن يستشير كل مفكريها ، وليس هناك شيء اسمه مناهج عالمية ، أو ثقافة عالمية ، أو تربية عالمية ولكن لكل قوم مناهجهم ، وثقافتهم وغاياتهم ، وتربيتهم والذي يقره قوم يرفضه آخرون ، ولكن هناك وسائل قد تكون عالمية ويبقى المحتوى التربوي والهدف أمر يصنعه العالم الإسلامي لنفسه إن كانت له قدرة على أن يفكر لنفسه في هذا الأمر .

الهوامش:

* في مذكرات الفيلسوف الأميركي المعاصر مورتيمر إدلر، ذكر العديد من الحوادث منها: أنه درس في الكلية الجامعية بنيويورك وكان البنين مفصولين عن البنات ، وذكر أن زميلاً طرد من الجامعة في جـامـعـــة كولومبيا الشهيرة في نيويورك لأنه كتب شعراً فُهم منه الإلحاد. وفي أميركا جامعات خاصة للبنات كالتي في مدينة دمنتون شمالي ولاية تكساس.

منتدى القراء

المجلات الإسلامية والدعم المفقود

سعد العبد اللطيف

لا يـجهـل أحد أهمية الإعلام ودوره فـي التأثـيـر على المتلقي وصياغة معتقداته وتصوراته وسلوكه وأخلاقه ، سواء أكان قاطناً في المدينة أو البادية .

وفي خـضـم هذا التوجه ، كانت محاولات لإيجـاد قنوات إعلامية تلتزم بأحكام الإسلام ، وتـرفـع لواءه وتذب عنه . وقد أدرك الكثير من العلـمـاء والدعـاة والمصلحين أهمية إنشاء وإصدار الـمـجـلات الإسلامية وأثرها في نشر الوعي ، وتصحيح المفاهيم ، ونشر الفضيلة ، وممن أدرك أهـمـية المجلات الإسلامية من العلماء والمصلحين : عبد الحميد بن باديس ، ومحمد رشيد رضـا ، ومحب الدين الخطيب ، ومحمد بن إبراهيم آل الشيخ ، وغيرهم -رحمهم الله جميعاً- . ورغم قدم عهد الأمـــة الإسلامية بالمجلات الإسلامية، إلا أن الـغـيــوريــن من هذه الأمة يتطلعون إلى مجلات إسلامية شاملة وقوية .

وفي هذه السطور نذكر أسباب عدم انتشار وقوة المجلات الإسلامية .

1- عدم إدراك الكثير من المنتسبين إلى الصحوة الإسلامية أهمية الـمـجـلات الإسـلامـيـة ، فـالـكـثير ينظر إلى هذه المجلات على أنها من باب الترف الثقافي ولذلك لا يشجـعـهـا ولا يقـتنيها؟! وقد أشرنا آنفاً إلى كوكبة من العلماء المصلحين الذين ساهموا في إصدار المجلات الإســلامــيــة، وكان لتلك المجلات أثر بالغ على الأمة الإسلامية آنذاك في توعية الأمة وشحذ همم أبنائها .

2- ضعف الدعاية والإعلان والتوزيع لهذه المجلات، فهناك مجلات إسلامية تصدر منذ سنين ، ومع ذلك لا أحد يعلم عنها شيئاً ولا أين تصدر .

3- هناك فجوة بين المجلة الإسلامية وبين الشباب ومعالجة قضاياهم وأحوالهم .

4- ضعف الإمكانات المادية والفنية والبشرية . ولعل هذا سر عدم استمرارها ، فربما صدر عددان في عدد واحد.. الخ ، وقد يكون هذا السبب مانع يحول دون مواصلة تقدم المجلة على طريقها الدعوي الإعلامي .

اقتراحات وحلول

- السعي إلى »الاستقلالية« الشمولية ، ويكاد يكون هـــذا حـــل جـذري لكثير من المشاكل والمصاعب التي يعاني منها العمل الإسلامي ، ومن ذلك "المجلات الإسلامية" .
- الاستقلالية في الموارد والدخل ، فلا تكون المجلة الإسلامية عرضـــة للـمـــزايـــدات والمقايضات ، حتى إذا ما وقع خلاف بين الممول وبين المجلة توقف ضخ التمويل ، ومن ثم فلا خيار للمجلة إلا أن تسعى إلى كسب رضاه وتستجدي منه العفو والمال ؟!
- الاسـتـقـلالية عن الحزبية الضيقة حيث لا تكون المجلة مجرد صوت لشيخ أو لاتـجاه معين ، ومن ثم تتبنى القضايا والأفكار التي توافق مسار ذلك الحزب أو ذلك الاتجاه . بل يـكون مرجع المجلة والقائمين عليها الكتاب والسنة وفق فهم السلف الصالح -رضوان الله عليهم- . ويكـــون منظار المجلة والقائمين عليها للقضايا والموضوعات من المنظور الشرعـي السني لا من المنظور الحزبي الضيق ، ولا من منظور البيئة أو الطائفة..الخ .
- عدم الخضوع لضغوط الواقع ومجاراة السائد ، أو الوقوع في فخاخ "ردود الفعل" .
لقد كانت بعض المجلات الإسلامية تميل إلى أسلوب التهويش والصراخ ، والتحدث بلغة المجابهة والمواجهة ، في فترات سابقة ثم تحولت الآن إلى لغة اللين والتمييع والمسايرة .
- التنسيق والتعاون بين المجلات الإسلامية : فلا بد أن يستحضر القائمون على المجلات الإسلامية الإخلاص وأن عملهم خدمة لهذا الدين ونصرته . فلا بد أن يكون هناك تـعـاون بين المجلات ، وتبادل الخبرات والاستشارات ، وكذلك إقامة المؤتمرات ، والاجتماعات من أجل النهوض بالعمل الدعوي الإعلامي الإسلامي . - تقوية العلاقات بين المـجـــلات الإسلامية وبين العلماء وطلبة العلم والجهات العلمية والدعوية ، والمراكز الثقافية والعلمية الأكاديمية .

شذرات وقطوف

القلوب المريضة

ابن القيم

((فَـأَمَّــا الَذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إيمَاناً وهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وأَمَّا الَذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إلَى رِجْسِهِمْ))
كـــمـــا يصل الغذاء إلى محل غير قابل للاغـتـذاء ، فإنه لا يؤثر شيئاً بل لا يزيده إلا ضعفاً وفـــســـاداً إلى فساده ، كما يصل الغيث إلى الأرض الغليـظــة العالية التي لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً .

***

صور الجوْر كثيرة

أسامة بن منقذ

"العدل في الشيء صورة واحدة، والجور صوره كثيرة، ولهذا سَهُلَ ارتكاب الجور، وصَعُبَ تـحـري الـعـدل ، وهما يشبهان الإصابة في الرماية والخطأ فيها ، فإن الإصابة تحتاج إلى ارتياض وتعاهد ، والخطأ لا يحتاج لشيء من ذلك" .

***

الغريب

أبو حيان التوحيدي

الغريب من إذا ذَكَر الحقَّ هُجر ، وإذا دعا إلى الحق زُجر .
الـغـريـب إذا امتار لم يُمر، وإذا قعد لم يُزر، يا رحمتا للغريب: طال سفره من غير قدوم، وطال بلاؤه من غير ذنب ، واشتد ضرره من غير تقصير .

* * *

هكذا يفعل الغرب

في حديثه مع الشيخ رشيد رضا قال أحد زعـمـاء الـنـصارى في طرابلس الشام وكان قنصلاً لروسيا وألمانيا :
".. إن في الإسلام فضائل كالجبال أو أشمخ وأرسخ، ولكنكم دفنتموها حتى لا تكاد تعرف أو ترى ، ونحن عندنا شيء قليل ضئيل ككلمة "حـب الله والقريب" فما زلنا نمطه ونمده ونقول : الفضائل المسيحية حتى ملأ الدنيا كلها".

***

مصطفى صادق الرافعي

"من مصائب هذا الشرق أن الخصام السياسي فيه لا يدل على سياسة ، ..تبرأ متبوعٌ من تابع فاختصما ، فكانا كرجل وحذائه ، يقـول الـرجـــل : أنا خلعت الحذاء ، ويقول الحذاء : بل أنا خلعت الرجل.."

* * *

"اجعل بينك وبين صنم الإفرنج بوناً شاسعاً،
فعهده وميثاقه لا يساوي حبة شعير،
خذ النظرة من عين الفاروق
وضع القدم الجريء في العالم الجديد".

محمد إقبال

مقال

الكُتَّاب العرب بين السلام

والاستسلام وبين الوطنية والخيانة

المحرر الثقافي

قِيل "الجاهل عدوّ نفسه" ومعنى ذلك أن إضــراره خاصٌّ منحصر في كل محيط محدود إلى حدًّ ما ، أما المتعالم فإن إضراره يتجاوز محيطه الشخصي ويمتد إلى أماكن أخرى متجاوزاً المحيط الخاص إلى المحيط العام ، ولا سيما إن كـــان الـمـتـعالم مُثقَّفاً ، مِمَّن ثُقِّفوا ثقافةً موجَّهة لخِدمة فئة سياسة معينة ، أتاحت له فرصة الوصول إلـى مركز إعلاميّ يمكّنه من بثِّ سمومه التي تنتشر انتشار "حُمّى الأهواز"(1) أو "حمى خـيـبــر"(2) ولئن كانت طرق انتشار الحمى مكشوفة واضحة الأعراض ، فإن طرق انتشار الحمم الدخيلة مموهة بطريقة متقنة تتيح لها انتهاج المناهج المتعددة مستفيدة من تغير المناخ السياسـي كاستفادة الحرباء من تنوع الألوان المحيطة بها ، "فلكل مقام مقال، ولكل زمان دولة ورجال"، وبين الزمان والمكان يمتد "خيط الشيطان"(3) ليفعل فعله متوهماً ديمومة "ظل الغمام"(4) دون أن يوقظه من سُباته قول كثير عزة.. في أمالي القالي : (2/109) .

وإنّي وَتَهْيامي بعَزَّة بعدما تخلَّيْتُ عمّا بيننا وتَخَلَّتِ
لكالمُرْتَجِي ظِلَّ الغَمامةِ كلما تبوَّأَ منها للمَقِيْل اضمَحَلَّتِ

كل هذا يحصل وأمتنا مبتلاة بكتبة مبادئهم "كـسـحـابــة الصيف" و "إلمامة الطيف"(5) يمرون على رزايا الأمة "مرَّ السحاب" دون أن يرفَّ لهم جفن ، لأن إخلاصهم "أبعد من مَناط الثريا"(6) وكأن الشاعر عناهم بقوله :

مَناط الثريّا من يَدِ المُتناوِلِ وأبعَد من هذا الذي قدْ أَرَدْتَه

لقد انسلك لفيفٌ من حملة الأقلام في سـلــك "كُـتَّـاب التِّتار"(7) الذين ينطبق عليهم قول الشاعر ابن عروس حيث قال : - في ثمار القلوب ص 686 -

ولمَّـا أنْ رأَيـْتُـهُــم وقُــوفـــــاً على الجِسْرَينِ كالجِدَءِ الضَّواري
سـألـتُ فَقيِلَ : كُتَّابٌ ولـكـنْ أَلَـمْ تَـسْـمَـــعْ بِكُـتَّــاب التَّـثارِ؟
وَكَمْ بَغْلٍ على بغلٍ وَكَمْ مِـــنْ حــمـارٍ قــد أنــافَ على حمارِ!!
وبــرْذَوْنٍ تَــــراهُ وَقَدْ تَثـنَّـــى عـلـى بِـرْذَوْنِـهِ مــثـل الـجــدِارِ

أعداء الأمة المتلفعون بأقنعة التقدمية، المتسربلون بسرابيل المناهج الوافدة، تفيض أقلامهم سـمــــاً زعافاً يفرق بين أبناء الأمة الواحدة . وأما آراء الكتبة فهي "كمشية السرطان"(8) وشأنهم كشأن من عناه أبو منصور العبدوني بقوله: - في يتيمة الدهر 4/43 -

وعُلِّمْتَهُ من مِشية السَّرطانِ فَرَأيُك في الإِدبار رأيٌ أَخَذْتَهُ

لقد أدمنوا على الإدبار ، ورجوع القهقري ، وتمجيد الاستسلام ، وتزييف صورة السلام ، مستخدمين المصطلحات التضليلية التي صيغت صياغة ملغومة بغية تفجير البنى الفكرية ونسفها من جذورها فأطلقوا على قوى الاحتلال اسم

"الاستعمار" والأصح من ذلك أن يطلق عليه اسم "الاستخراب" لأن أعمال الغزاة المحتلين قائمة على التخريب العام ، وليست قائمةً على التعمير ، ولكن العملاء من الـكـتـبــــة روَّجوا الأخطاء فشاعت وأصبحت من المسلمات السارية كالأمراض السارية ، وينشر المخربون مزيداً من المصطلحات الفتّاكة ، ودورهم في ذلك كدور "فأرة الْعَرِم"(9) و "بعوضة نمرود بن كنعان"(10) و"الصَّعوة"(11) و "الخرفان" التي ورد ذكرها في قول الخوارزمى : - في تيمة الدهر 4/222 -

لا تَعْجَبوا من صيد صَعْوٍ بازِياً إنْ الأُســـود تُصادُ بالخرفانِ
قَدْ غَرَّقَتْ أملاكَ حِمْيَرَ فَـــأْرَةٌ وبَعوضَـــةٌ قَتَلَتْ بني كَنْعانِ

إن الإنسان ليعجب من عقوق اللاهثين وراء الأجنبي، وقد أصبح "عُقوقُ الضَّبِّ"(12) شعاراً لهم ، وهم "أهبَرُّ مِنَ الهبيرَّة"(13) التي تأكل أولادها، وكتاباتهم تُخيِّم على الوطن، وتُقْلِق المواطن "كظل الموت"(14) و"طُغيان أقلامهم" ينبئ عن أصلهم .

والغريب الغريب من أمور الكتبة خداعهم حتى لَتجِدَ الواحد منهم"أَخْتَلَ من الذِّئب"(15) إذا رام صيده ، "وأحرصَ من كلبٍ على جيفةٍ أو عِرْقٍ"(16) فيا ويــل من احتاج النُّصرة منهم لأن مصيره كمصير من عَنَاهُ الشاعر بقوله :

أمسى لَعَمْرُكَ مُحتاجاً إلى الصُّـوفِ مَنْ جَزَّ كلباً لِمَا في الكلبِ منْ وَبَرٍ

وإن سأل سائل عن رأس مال المتحذلقين المتخرصين فالجواب : إن رأس مالهم "ورأسَ مال الدَّلال" (17) سواء ، لا يتمشى بغير الكذب والتمويه والتضليل أسوةً بإبليس أول دلاّل دَلَّ ((عَلَى شَجَرَةِ الخُلْدِ ومُلْكٍ لاَّ يَبْلَى)) [طه/120]. إنهم "كدودة الخل في الخل"، و "ديدان السموم في السموم" نهجهم عجيب ، وأمرهم غريب ، مولعون بالخلاف ، ومَثلُهم الأعلى "لَجاج الْخُنْفُساء"(18) إذا تعلق الأمر بخدمة العدو ، وإيذاء الأهل ، وهم كصاحب الشاعر خلف بن أحمر المقصود بقوله: - معجم الأدباء 16/161 -

لنا صاحِبٌ مُوْلَعٌ بالخلافِ كـثـيــرُ الـمراءِ قليلُ الصَّوابِ
أشدّ لَجاجاً من الْخُنْفُـســاء وأزهى إذا ما مشى من غُرابِ

وهم "أخلف من وَلدِ الحمار"(19) إن كانت أمه فرساً ، فهو "لا يشبه أباه ولا أمه" وهم كذلك لا يشبهون الأهل في إخلاصهم ، ولا الأعداء في أهدافهم ، وخير وصف لهم : أنهم "مفاتيح الفتن" و "كِلاب الناس"(20) الذين عناهم الشاعر فقال :

كَكَلْبِ الإنسِ إنْ فكَّرتَ فيه أشدَ عليك مِنْ كَلَبِ الكِلابِ

يروِّجون لكل ما هو دخيل،ويشيدون بالمتآمر والعميل، يـطـبِّـلـــون للتنازلات، ويزمرون للمُمَاحكات ، يُدينون السلام ، ويَدينون بالاستسلام ، يهللون للأبـاطـيـــل الصهيونية ويلبسونها جلود الحملان ، ويندون بالحقائق العربية الإسلامية ، ويصفونها بالرجعية والعدوانية والديكتاتورية المتخلفة ، وكأن الشرق الأوسط مباح ، بل حق لكل طامع دخيل متآمر محتال من شذاذ الآفاق

الذين ضاق العالم بهم ، فقذفهم على شواطئ بلاد الشام كما يقذف البحر زبده الذي يذهب جفاء ، وبدلاً عن الاحتجاج على هذا الأمر نرى مجموعة حاقدة من الكتبة تقوم بالدعاية - غير الشريفة - لهذا الدجل السياسي الذي يُرتكب دون رادع ، بل تحول قسم من النظارة إلى ((قِرَدَةً خَاسِئِينَ)) [البقرة/65] ، أذلاء وكـــأن أمر الوطن والمواطن لا يعنيهم لا من قريب ولا من بعيد ، وإذا ما ثار ثائر على الذل ، أو دافع مدافع عن قضية تَهُمُّ المسلمين ، أو رفض رافض أمراً مرفوضاً ، نجد قيامة الكتبة قد قامت وبدؤوا يتهمون الشرفاء بالتطرف والأصولية ، وراحوا يتلاعبون بالمصطلحات على هواهم حتى يُصبحَ الحقُّ باطلاً والباطل حقاً في غمرة العزف النشاز الصادر عن جوقة المطبلـيـن والمزمرين والمشعوذين من دعاة الاستسلام والتسليم لكل ما هو دخيل وغريب ، ولا غرابة بذلك، فالأمر سهل على من مات ضميره وانسلك في سلك العملاء الموتورين غير المأجورين .
إذا مـــا طالب مطالب بالوحدة الإسلامية قالوا : هذا طرح أصولي ، وهم لا يعنون المعنى الحقيقي لكلمة أصولي ولا يعون معناه أصلاً إنما يعنون بكلمة أصولي المعنى المترجم للكلمة الإنجليزية »Fundamentalism« التي تعني مذهب العصمة الحرفية الذي ابتدعته حركة بروتستانتية تؤكد على أن "الكتاب المقدس" الذي يضم التوراة والإنجيل معصوم عن الخطأ في كل مـــا يحتويه ، كـمـا تعني الكلمة : الإيمان بهذا المذهب البروتستانتي . فهل من يصفونهم بـالأصـولـيـة من المسلمين يؤمنون بما يؤمن به الأصوليون البروتستانت ؟ أم أن استعمال هذا المصطلح هو استعمال نابع عن الجهل المتأصل أو التجاهل المبرمج ؟ ولا يقف هذا القذف عند حَدِّ اتهام المتدينين المسلمين بالأصولية ، وإنما يتجاوزهم ليشمل قطاعات أخرى من أبناء شعبنا حتى يعمهم جميعاً ما عدا العملاء لا غير ، فَمَنْ يُطالب بتحكيم شرع الله يُتَّهم بالأصولية الإسلامية، ومن يطالب بالوحدة العربية يتهم بالأصولية القومية، ويجهرون بآرائهم الـمـتـهـافـتـــة دونـمـــا خجل، وكأنما المعري قد عناهم بكتابه "زجر النَّابح"(21) وجـمــع بينهم وبين نقيضهم في كتابه "الصاهل والشاحج"(22) فقدم الصاهل لأصالته وأخر الشاحج لهجنته ، وما أجدر دعاة الآراء الفاسدة بالحلول محل الثاني في عنوان كتاب المعري ، وذلك مقام لائق بمن يخلط بين الأصولية البروتستانتية ، ودين الله الذي لا يقبل من الناس غيره، ويسمى التطرف الديني،ويضفي على الاغتصاب الصهيوني صفة الشرعية النابعة عن ديمقراطية المجازر التي نفـذتهـا عصابات الهاغانا في قِبية ودير ياسين ، ومن ثم نسجت على منوالها عصابات أخرى كـتـبت تاريخها بدماء أبناء الشعب الفلسطيني والشعب اللبناني ، واستمرأ الكتبة جرائمهم فعـتَّـمــوا عليها ، وهاجموا من لم يمل للعاصفة الصهيونية ، لأنهم أكثر صهيونية من الصهاينة الأفاقين .

الهوامش:

1- حمى الأهواز : قيل عنها ليست إلى الغريب بأسرع منها إلى القريب (ثمار القلوب ص : 550) .
2- حمى خيبر: يضرب بها المثل ، لأن خيبر مخصوصة بالحمى والوباء . (معجم البلدان 3/497) والحيوان 4/ 136) ومجمع الأمثال (1/95) .
3- خيط الشيطان : يشبه به الشيء الباطل الذي لا أصل له : "وقيل : خيط باطلٍ الذي يقال له لعاب الشمس ومخاط الشيطان" لسان العرب : خيطٌ .
4- ظل الغمام : يضرب مثلاً لما لا يدوم بل يسرع انقضاؤه .
5- إلمامة الطيف : يشبه به غضب العاشق ، ويقال : "طاف به الخيال طوفاً : ألم به النوم.. وطيف الخيال : مجيئه في النوم" لسان العرب طوف ، طيف .
6- أبعد من مناط الثريا : يضرب به المثل في البعد ، واستحالة الحصول . (انظر جميع الأمثال 1/575.201) .
7- كتاب النثار : هم الذين لا يتعلموا من مُعلم بل يسرقون جهود الآخرين ويكوِّنون موادهم من النفاق والتملق والسطو .
8- مشية السرطان : يضرب بها المثل في الإدبار ، ورجوع القهقري .
9- فأرة العرم : تضرب مثلاً في الضعيف يقوى على الأمر الكبير ، ويقال أن فأرة خربت سد مأرب فحصل سيل العرم . (انظر سورة سبأ ، الآية : 16 ، والحيوان للجاحظ 5/249) .
10- بعوضة نمرود بن كنعان : يروى أن البعوضة دخلت في أنف نمرود بن كنعان وكان بها حتفه .
11- الصعوة : طائر من صغار العصافير أحمر الرأس (انظر الحيوان للجاحظ 216/5) .
12- عقوق الضب : إن الضبة تحرس بيضها ، فإذا خرجت أولادها وثَبَتْ عليها واكلتها فقالت العرب : أعق من الضب ، (انظر الحيوان 1/196 -197) .
13- أهبر من الهبيرة : أهبر: أقطع ، الهبيرة : الضبعة (انظر تاج العروس ، هبر) .
14- ظل الموت : كناية عن السيف .
15- أختل من الذئب : يضرب مثلاً للمخادع الغادر (انظر الحيوان 6/410 ، 2/354 ، ختل الذئب كروغان الثعلب) .
16- أحرص من كلب على جيفة أو عرق : يضرب مثلاً للبخيل ، والعرق : العظم : (انظر مجمع الأمثال رقم : 1217 ، والحيوان : 1/220،227،271) .
17- رأس مال الدلال : الكذب .
18- لجاج الخنفساء : يضرب به المثل ، لأنها إذا نحيت جانباً عادت (الحيوان للجاحظ 3/340،345،500) .

19- اخلف من ولد الحمار: هو البغل لا يشبه أمه ولا اباه (انظر مجمع الأمثال للحيوان رقم : 1342 والحيوان للجاحظ 1/108) .
20- كلاب الناس : هم الأنذال والسفهاء إذا قويت شوكتهم تسلطوا وظلموا .
21- زجر النابح : اسم كتاب من كتب أبي العلاء المعري ، نشرت مقتطفات منه في دمشق سنة 1965 م ، مجمع اللغة العربية ، تحقيق أمجد الطرابلسي .
22- الصاهل والشاحج : من كتب المعري أيضاً نشرته دار المعارف في القاهرة سنة 1975 م ، تحقيق عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) .

إصدارات

الكتاب : صقور القوقاز ، (256 صفحة) .
المؤلف : سلجوق قُلَلى ، ترجمة د. محمد حرب .
الناشر: دار المنارة للنشر والتوزيع جدة /1992 .
موضوع الكتاب : رواية إسلامية تصوِّر جهاد الداغستانيين بقيادة الإمام شامل ضد الروس المعتدين على مدى خمس وثلاثين عـامـــاً . وتفصل الرواية وقائع الحياة في داغستان قبل وخلال ثورة هذا المجاهد الذي استحق اسـم أســـد القوقاز والذي "دوّخ روسيا القيصرية وتصدى لظلمها وجبروتها وجيشها وخاض معارك ضارية بثلة من رجاله.. صقور القوقاز". والكـتـاب إلى جانب كونه دراسة في سيرة الرجل -البطل فهو سجل تاريخي للأحداث الدامية التي مرَّت في تلك الفترة .

***

الكتاب : أسلوب جديد في حرب الإسلام (210 صفحات) .
المؤلف : جمعان بن عايض الزهراني .
الناشر: رابطة العالم الإسلامي (1989) الطبعة الثانية 1412 هـ / 1991 م .
الموضوع : يرفع هذا الكتاب الستار عن الحداثة ويفضح الحداثيين ويفتح أعين المصلحين على أخطار الوضع الراهن . .

***

الكتاب : اليهود في القرآن والسُنَّة ، بعض من خلائقهم (166 صفحة) .
المؤلف : د. محمد اديب الصالح .
الناشر: دار الهدى للنشر والتوزيع ، الرياض .
الموضوع : دراسة للنصوص في محاولة لاستلهام العبر والدروس ، وذلك في سبيل تحديد شخصية اليهود ، حسبما ورد في الكتاب والسنة . والكتاب هو الجزء الأول وسيصدر الجزء الثاني قريباً .

الصفحة الأخيرة

خطبة الحاجة على الطريقة العلمانية

جمال سلطان

يـتـأدب الـمـسلمون - عــادة - عندما يبدأون الكلام ذا البال ، أو الأحاديث الهامة ، أو الـخـطب المطولة ، فيبدؤون بحمد الله تعالى ، والثناء عليه بما هو أهله ، يلي ذلك إعلان كلمة التوحيد والتصديق بنـبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وتلاوة آيات من القرآن الـكـريـم ، عـلـى النحو الذي يـعـرف باسم "خطبة الحاجة" اهتداءً بهدى النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - ، ثم يدخلون في الموضوع المقصود .

لقد أصبح للعلمانيين العرب في - أيامنا هذه - ما يشبه "خطبة الحاجة" عند المسلـمـين ، غير أن خطبتهم تبدأ بسب الإسلاميين والتعريض بهم، وإعلان التصديق بأنهم إرهابـيون، وتأيـيـد خـطـوات "الحـكـومـات الـديـمـوقراطية" التي تبطش بهم ، ووصفهم بأنهم أعداء الـحـضـارة، وأعداء التقدم والاستنارة ، ودعاة الفتنة.. إلى آخر قائمة المغالطات الإعلامية المعروفة .

ويـنـدر أن نجد اليوم مقالاً في صحيفة ، أو بحثاً في مجلة ، أو حواراً بين أصحاب الفكر الـعـلـمـاني المنحرف ، في أي مكان ، وعبر أي منبر ، يتعرض للأحوال العامة في المنطقة الـعربية ، إلا ويبدأ بسب الإسلاميين ، والهجوم عليهم ، والدعوة إلى عزلهم ، والتنكيل بهم ونحو ذلك .

اليساريون في مصر ، كتبوا مقالاً هاجموا فيه أحد الكتاب في صحيفة "الأهرام" بدعوى أنه يتعاطف مع الإسلاميين ، وقدموا للمقالة بالديباجة المعروفة فلم يقصروا في شتم الإسلاميين ولعنهم والتأكيد على أنهم سبب كل بلاء ، ولكن الكاتب المقصود ، لم يتأخر ، حيث نشر مـقـالاً يـنـفـي فـيـه "تهمة" تعاطفه مع الإسلاميين، ولم ينس أن يبدأ مقاله بالديباجة أو "خـطـبة الحاجة العلمانية" من سب وتجريح وتشهير بالإسلاميين ، ثم دخل في موضوعه مدعياً : أن "التطرف اليساري" هو الذي يغذي "التطرف" الإسلامي ، فأصبح الأمر مثيراً للضحك حيناً ، وللشفقة أحياناً أخرى ، في زمن الهوان والضعة ، زمن انحدار أصحاب الأقلام العربية العلمانية.

تمت بعون الله والحمد لله
